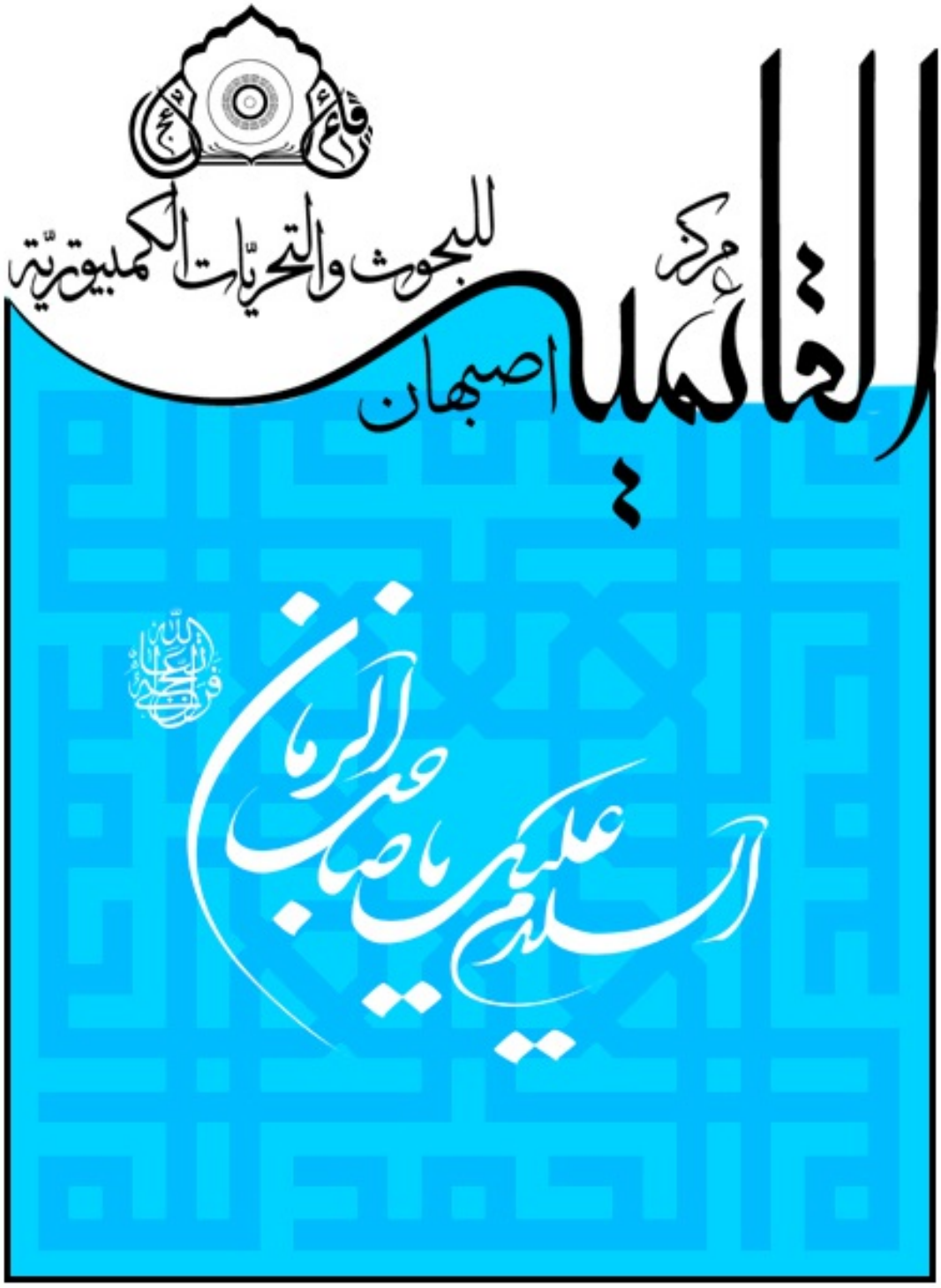

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المشاهد المشرقة والوهابيون

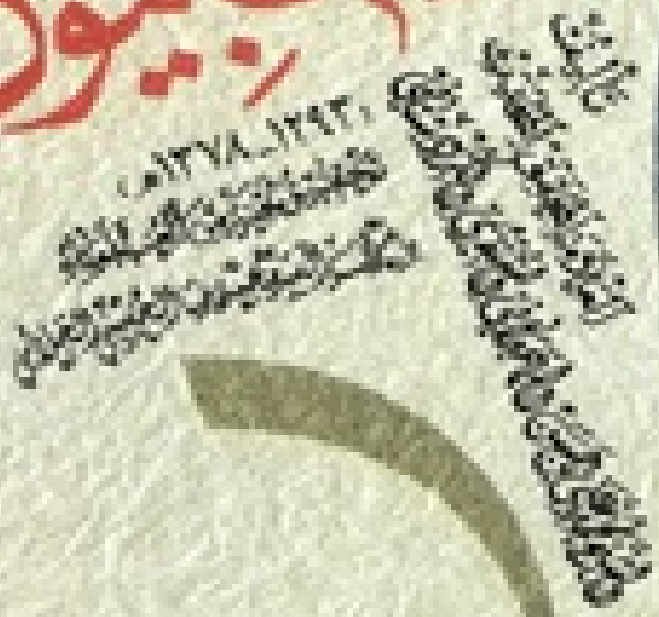

بسم الله الرحمن الرحيم

المشاهد المشرفه و الوهابيون

كاتب:

محمد علی بن حسین همدانی سنقری کردستانی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
المشاهد المشرفه و الوهابیون ----- ۹
اشاره ----- ۹
المؤلّف والکتاب ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۳
المؤلف ----- ۱۴
هذا الکتاب ----- ۱۵
عملنا ----- ۱۷
المقدمه ----- ۱۸
اشاره ----- ۱۸
الفرق بین الدعاء، والعباده ----- ۱۹
حقیقه العباده ----- ۲۰
حقیقه الشرک ----- ۲۰
منکر و الشفاعه ----- ۲۱
هاهنا مقامات ----- ۲۱
ان مطلق الدعاء لیس عباده و لا شرکا ----- ۲۲
اشاره ----- ۲۲
الاستغاثه بالوسائط ----- ۲۳
ادله المنع من الاستشفاع ----- ۲۴
الرد علی ذلک ----- ۲۵
الادله علی جواز الشفاعه ----- ۲۵
استدلال آخر لنفی الشفاعه ----- ۲۶

الآیه صریحه فی إثبات الشفاعه ----- ۲۷
التقرب بالأصنام ----- ۲۷
الآیات المانعه عن الاستشفاع خاصه ----- ۲۷
ثبوت الشفاعه فی العقیده الإسلامیه ----- ۳۲
اشاره ----- ۳۲
الاجماع علی الشفاعه ----- ۳۳
العقل یدل علی صحه الشفاعه ----- ۳۴
تذبذب بین المعتزله و الأشعریه ----- ۳۶
الآیات داله علی ثبوت الشفاعه ----- ۳۶
الروایات داله علی ثبوت الشفاعه ----- ۳۷
تمویه فی إنکار الشفاعه ----- ۴۱
لیست الشفاعه بشرک ----- ۴۲
صور من الأدعیه المأثوره ----- ۴۳
الاستشفاع بالأموات ----- ۴۴
الزیاره والعباده ----- ۴۵
المزورون أحیاء فی قبورهم ----- ۴۷
دفاع الآلوسی البغدادی عن الوهابیه ----- ۵۰
السنه والسیره فی زیاره القبور ----- ۵۱
ابن تیمیه یعترف بمشروعیه الزیاره ----- ۵۳
اسلام السلفیه والوهابیه ----- ۵۴
حدیث لا تشد الرحال... ----- ۵۵
المؤلفات فی جواز الزیارات ----- ۵۶
تناقض التصرفات ----- ۵۶
لا فرق بین حیاه الرسول و موته فی تعظیمه ----- ۵۷

تعظیم ما أمر الله، هو من عباده الله و طاعته ---- ۵۹
زیاره القبور سنه نبویه و غایتها ---- ۶۲
بناء المشاهد والمزارات عمل شرعی ---- ۶۳
کرامات الأولیاء من قبورهم ---- ۶۵
یفترون علی المسلمین ---- ۶۸
الحلف عند المسلمین ---- ۶۸
فی ثبوت الأمر بالتوسلات والاستغاثات والاستشفاعات و فیه الأمر ببناء الضرائح والقباب المتعلقه بمشاهدهم ---- ۷۲
توسل آدم بالنبی ---- ۷۲
البیوت المرفوعه ---- ۷۴
معنی رفع البیوت ---- ۷۶
الوسیله إلی الله ---- ۷۷
التوسل بالنبی ---- ۸۱
تعظیم الشعائر ---- ۸۱
تعظیم حرمات الله ---- ۸۳
الاعتصام بحبل الله ---- ۸۴
ابواب البیوت ---- ۸۷
اتخاذ المساجد ---- ۸۸
الوهابیون والشعائر ---- ۸۹
اهداف الفرقه ---- ۸۹
شبهه تسنیم القبور ---- ۹۰
اتخاذ القبور مساجد ---- ۹۱
الصلاه فی المقابر ---- ۹۲
البناء فی الأرض المسبله ---- ۹۴
قبور أئمه البقیع ملک لبنی هاشم ---- ۹۶

المقامات المهدومه ----- ۹۷
نهب الأملاک والأموال ----- ۹۹
سفک الدماء ----- ۱۰۰
هتک حرمه العقائد ----- ۱۰۱
حرمه المدینه ----- ۱۰۲
منع الصلاه علی النبی ----- ۱۰۳
الله: یصلی فی القرآن علی نبیه ----- ۱۰۵
خاتمه: من دلائل النبوه: التحذیر من الفتنه ----- ۱۰۶
اشاره ----- ۱۰۶
احادیث تنبیء بالمنع عن الزیاره وبالعداء للمشاهد ----- ۱۰۶
احادیث فی نجد و شروره ----- ۱۰۹
تعریف مرکز ----- ۱۱۱

المشاهد المشرفه و الوهابیون

اشاره

سرشناسه : حائری، محمدعلی، ۱۳۲۶ - ۱۳۸۱.

عنوان قراردادی : کشف الشبهات .شرح

عنوان و نام پدیدآور : المشاهد المشرفه و الوهابیون/ تالیف محمدعلی بن حسن الهمدانی السنقری الکردستانی (۱۲۹۳ - ۱۳۷۸).؛ تحقیق لجنه منلعلما؛ باشراف السیدمحمدرضا الحسینی الجلالی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۱۲۸ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۵۸-۲

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : ابن تیمیه، عبدالسلام بن عبدالله، ۵۹۰ - ۶۵۲ق . کشف الشبهات -- نقد و تفسیر

موضوع : زیارت و زائران -- دفاعیه ها و ردیه ها

موضوع : زیارت و زایران -- نظر وهابیه

موضوع : توسل -- دفاعیه ها و ردیه ها

موضوع : توسل -- نظر وهابیه

موضوع : شفاعت (اسلام) -- دفاعیه ها و ردیه ها

موضوع : شفاعت (اسلام) -- دیدگاه وهابیه

موضوع : وهابیه -- دفاعیه ها و ردیه ها

شناسه افزوده : حسینی جلالی، سیدمحمدرضا، ۱۳۲۴ - ، ویراستار

شناسه افزوده : ابن تیمیه، عبدالسلام بن عبدالله، ۵۹۰ - ۶۵۲ق . کشف الشبهات. شرح

رده بندی کنگره : BP۲۲۶/۷/الف۶ک۵۰۲۱۳ ۱۳۹۰

شماره کتابشناسی ملی : ۲۶۲۹۷۱۰

ص: ۱

المؤلّف والکتاب

اشاره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

اشاره

بسم اللَّه الرحمن الرحیم

فی بیوت أذن اللَّه أن تُرفعَ ویذکر فیها اسمه یسبّح له فیها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهیهم تجاره ولا بیعٌ عن ذکر اللَّه وإقام الصلاه وإیتاء الزکاه یخافون یوماً تتقلبُ فیه القلوب والأبصار

القرآن الکریم، سوره النور (۲۴)، الآیتان ((۳۶- ۳۷))

الطبعه الاولی ۱۳۴۵ ه

باسم: المشاهد المشرّفه والوهابیون

الطبعه الثانیه ۱۴۱۸ ه

محقّقه ومفهرسه

ص: ۵

المؤلف

ولـد فی السـابع من جمادی الاُولی عام ۱۲۹۳، وکـان والـده من علماء مـدینه همـدان فی غرب إیران، فأخـذ منه ومن جمع من علماء عصـره وتعلّم اللّغـات المختلفه منها «العبریه والسـریانیه، عنـد أحـد القساوسه الـذی أعتنق الإسـلام، وهو فخر الإسـلام صاحب ((أنیس الأعلام)) فکان یحاجـج الیهود والنصاری، بما فی کتبهم، وهـدی الله جمعاً منهم إلی الإسـلام علی یدیه وهاجر إلی المحاضـر العلمیه، وأخـذ منها ما یروی الغله. ثمّ اسـتقر فی مـدینه ((سـنقر)) الکردسـتانیه فی إیران، لتبلیغ الإسـلام، فکانت له محاضـر ومجالس ضـخمه، وعلی یدیه اهتدی جمع کثیر من اصـحاب المذاهب الاُخری لقوه حجّته وسلامه منطقه. وتوفی فی شهر محرم عام ۱۳۷۸ه فی زیاره له إلی العراق، له مؤلّفات عدیده، نشر بعضها.

ص: ۶

هذا الكتاب

الّفه الشيخ العلامه السنقریّ، لمّا قام اصحاب الفرقه بهدم بعض المساجد والبيوت المنسوبه إلى زوجات النبى اُمهات المؤمنين وبعض الصحابه الكرام، وكذلك ما كان لأهل البيت النبويّ الطاهر وقرباه، من البيوت والمشاهد والقباب التى كانت تظلّل قبورهم، ويستظلّ بها الذين كانوا يصلون إلى هذه الأماكن لتجديد الذكرى بأصحابها. مع أن القاصدين لهذه المواضع كانوا من طوائف المسلمين والمذاهب المختلفه وكلها تجوّز قصدها للتقرّب إلى الله عزّوجلّ بتجديد العهد مع الله بمشاهده تلك الأماكن التى وقعت فيها حوادث السيره النبويَّه، ووضعت فيها جثث شهداء الإسلام، ومع أن الفقهاء للمذاهب يجوّزون زياره تلك المواضف اعتماداً على أدله الكتاب والسنّه والإجماع إلاّ أن الدعاه حاولوا تحكيم رأيهم وفرض فتاواهم، على سائر المسلمين، ولقد قاموا بهدم تلك البيوت، على فتاوى من علمائهم. وقد ألّف علماء المسلمين فى هذا كتباً قيّمه، للاستدلال على بطلان تلك الفتاوى ومنها هذا الكتاب. وقد احتوى على الإجابه عن كل الأدلّه التى ذكرها مؤسس الفرقه وإمامها فى كتابه الموسوم ب ((كشف الشبهات)) وهو أهم كتبه فى هذا الباب. قدّم المؤلّف لكتابه مقدمه قصيره، مركّزاً على أهم ما قصدهُ فى جوابه هذا. ثمّ بناه على مقامات ثلاثه: المقام الأول: فى أنّ مجرّد دعاء شخص لشخص، ليس عباده من الداعى، للمدعوّ، فالعباده تحتاج إلى أكثر من مجرّد الدعاء، وهو قصد العبوديه من الداعى والألوهيه فى المدعوّ: فالاستغاثه بالأنبياء والأئمه والأولياء يجعلهم وسائط إلى الله، لقربهم منه، ليس عباده لهم، بل هو عباده له، لأنّه أمرنا بهذا.

ص: ۷

ومثل ذلک الاستشفاع بهؤلاء. ثم أثبت الأدله على ثبوت الشفاعه للنبیّ((صلى الله علیه وآله وسلم))، وأجاب عن أدلّه الوهابیّه فی إنکارها وکل ذلک فی المقام الثانی. وأثبت أنّ الاستشفاع یتحقّق فی الحیّ والمیّت بلا فرق، لورود ذلک فی الأدعیه والزیارات المأثوره، کما علیها سیره الأمه الإسلامیه، مدی العصور والقرون الأُولی التی هی خیر القرون، وعلی طول الأعوام المتعاقبه. ولأنّ الذین یزورهم المسلمون: أحیاء فی قبورهم یرزقون، بنصّ الکتاب والسنّه. وفیه الردّ علی التفریق بین الحیاه والموت فی شأن النبیّ((صلى الله علیه وآله وسلم))والتوسّل به. وکذا الدعوی علی المسلمین کافه، بقصد الشرک وغیره من الباطل، رجماً بالغیب وافتراء وبهتاناً. وفی المقام الثالث: أتیت الأوامر الشرعیّه بالتوسل والاستغاثه وزیاره الأموات وبناء الضرائح والقباب. والجواب عن الشبهات بدعوی أن البناء تصرّف فی الأرض المسبله والوقف. وإثبات أنّ قباب آل البیت فی البقیع، کانت ملکاً لهم، لا وقفاً مُسبّلا. والإجابه عن شبهه تسنیم القبور، وعن حرمه زیاره القبور. وفیه شیء من انتهاک اولئک لحرمات الأموال والدماء عندما سیطروا علی الحرمین والطائف. وفی الخاتمه: أورد المؤلّف الأحادیث النبویه التی دلّت علی ظهور هذه الفرقه، وحذّرت منها، وهی من ((دلائل النبوّه ومعاجزها)). إن المؤلّف العلامه، عرض جمیع هذه المواضیع، بشکل هادیء، ومستند وقویّ، وأوجز فی العرض بشکل رائع وواضح. وناقش بحجج علمیه متینه، ممّا دلّ علی امتلاکه لأزمّه العلم والتحقیق.

ص: ۸

عملنا

وقد قمنا بإخراج الكتاب فی حلّه حديثه، مع التعريف بالمؤلّف، وتوزيع الكتاب بشكل فنّی، ووضع العناوين اللازمه فی مواقعها بين المعقوفتين. كما قمنا بتخريج الأحاديث المهمه للتسهيل والتوثيق. وعملنا فهارس للآيات والأحاديث والألفاظ تسهيلا على المراجعين. والحمد لله على إحسانه ونسأله الرضا عنا بجلاله وإكرامه إنّه ذو الجلال والإكرام. لجنه التحقيق

ص: ۹

المقدمه

اشاره

الحمدُ لله الذی توحیدُه فی تنزیهه، وغایه معرفته فی تقدیسه. تفرّد بالکبریاء والأحَدیّه، وتسربل بالعظمه والمعبودیّه. والصلاه والسلام علی من اصطفاه الله واختاره واجتباه، ختم به النبوّه، وحباه بالوسیله والشفاعه، فصدع بأمره فی أُمّته، وقَرَنَ بین کتاب الله وعترته، بعد أن اختصّهم بفرض المودّه واتّباع الأُمّه. محمّد وآله الذین صلّی الله علیهم وسلّم تسلیماً، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً. وبعدُ: فإنّی بعدما أسلفتُ شطراً من الکلام فی الجواب عمّا کان قد نسجته أوهام ابن تیمیّه فی شبهاته، وأورده فی «منهاج سُنّته» فقد ظفرت الیوم برساله اُخری للمقتفی آثاره مرجع الوهّابیّین «محمد بن عبد الوهاب» الموسومه ب «کشف الشبهات» فی التشکیک بالمتشابهات. فمحصّل الجواب عمّا نسجه بوهمه وتشکیکه فی رسالته لمعنی العباده والشرک ; بأنّ دعآء الغیر عباده له، والتوسّل به عبودیّه له، منافیه لتوحید الله والإخلاص به.

ص: ۱۰

الفرق بين الدعاء، والعباده

هو أنّه لا ريب فی أنّ مطلق الدعاء للغير ليس عباده له ولا مطلق الاستغاثه والاستعانه به عبوديّه له ; ضروره افتقار العباد فی حاجاتهم ونيل أمورهم فی عاديّاتهم، بل وفی عباديّاتهم، كما أمر الله تعالی بالتعاون علی البرّ والتقوی. وكذا لاشبهه فی أنّ مطلق الخضوع والانقياد وخفض الجناح لغيره تعالی، ليس بعباده له، ومنافيه لتوحيد الله والإخلاص له تعالی. فلو كان مطلق التعاون والاستعانات والاستغاثات والتوسّلات شِرْكاً، لكان الوّهابيّون بذلك أوّل المشركين. ولو كان مطلق الخضوع والانقياد والخفض للغير شركاً فی عباده الله، لما أمر الله تعالی به، ولكان الأمر بالسجده فی قوله تعالی لملآئكته: ((أُسجُدُوالآدَمَ)) أمراً بالشرك؟! وكان لإبليس أن يعترض عليه سبحانه فی ذلك، فيقول: يارَبِّ لِمَ تأمُرنی بالسجودِلِغيرِك، وهوالشرك المنافی لتوحيدك والإخلاص لك! ولكان الاستدلال بذلك أولی من استدلاله بالقياس الفاسد. ولكان إبليس بامتناعه هذا من السجده أوّل الموحّدين، كمازعمه جمع من الصوفيّه، وقاله بعضهم فی «فصوص حكمه»، وتبعه أتباعه فی شروحهم عليه، فالمدار علی الحقائق دون الصور! فلو كان مطلق الخضوع شركاً وعباده للغير، لكان خضوع العبيد للموالی والرعايا للرؤساء والملوك، والزوجات للأزواج والتلميذ للمعلّم، كلّها خضوعاً لغير الله وشركاً به وعباده لغيره! ولم يقل به أحد، ومعه لا يقوم حجر علی حجر. ولو كان ذلك شِرْكاً فی عبادته، لكان تقبيل الحجر الأسود واستلامه عبادته! ولكان مسّ الأركان والتبرّك بها عبادتها!

ص: ۱۱

ولكان أمر الله لبنى إسرائيل فى أريحا يوم دخول القريه بالخضوع لباب حطّه. وأمر الله نبيّه بخفض الجناح لمن اتّبعه من المؤمنين. وأمر الله عباده بالخفض للوالدين، والزوجه للزوج. كل ذلك أمراً بالشرك؟! ولكان يعقوب وولده بسجودهم ليوسف حين خرّواله ساجدين، وكلٌّ من أُولئك فى خضوعهم المأمورين به مشركين؟! وذلك لوضوح أنّ كلّ هذا إنّما هو عباده الآمر بها، لا عبادتها إيّاها. سبحان الله. ما أجهل المعترضين على الآيات، وما أغفلهم عن البيّنات. وما أشدّ إعراضهم عن المحكمات إلى المتشابهات.

حقيقه العباده

فليس ذلك إلاّ لأنّ العباده ليس المراد منها معناها اللغوى أعنى مطلق الطاعه والدعاء . بل إنّما حقيقه العباده هى مجرّد الطاعه والامتثال لأمر الله الواجب وجوده، العظيم لذاته ; ونفسُ الانقياد وإتباعه بكلّ ما أمر به دعاءً كان أو نداءً أو خضوعاً أو سجده أو توسّلا أو استشفاعاً إلى غير ذلك، ممّا يرجع إليه بالاعتبار اللفظى أو العقلى أو العادى. وتدور العباده والشرك وجوداً وعدماً مدار الطاعه والانقياد بقصد الامتثال والاستقلال فى المألوهيه ; بمعنى أنّ العباده هى ما قُصد به الامتثال بداعى الأمر بها مطلقاً.

حقيقه الشرک

وأمّا الشرك: فهو تشريك الغير بالاستقلال فى المعبوديّه، واتّخاذه دون الله أو مع الله بالألوهيه. فما هذا التمويه والمغالطه؟! وما هذا الخلط الظاهر وخبط

ص: ۱۲

العشواء؟! وما أغفلهم عن كلمات الله؟! وليتهم تعلّموا من إبليس ; حيث إنّه لم يَرَ الأمر بالسجده للغير شرْكاً بالله منافياً لتوحيده تعالى. بل، ودرى بها من حيث إنّها مأمور بها عين توحيده وعبوديّته، فلم يردّ على الله بشيء من ذلك، إلاّ باختياره عصيانه ومخالفته، وسلوكه مسلك الاستكبار بحسده وعُتُوّه وكِبْره وغُلُوّه، ولذلك طغى وعصى وتمرّد وأدبر واستكبر فكفر.

منكر و الشفاعه

وأمّا الذين ينكرون ويجحدون ما جاء في مأثور السُّنّه ; من الاستشفاع إلى الله بالأنبياء والأولياء، فحق أن يُتلى فيهم قوله تعالى: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبْرَاهِمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَهَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عظيماً)). فلا يُغرّنّك الانتساب إلى التوحيد، ولا تلاوه آيات الله المجيد. ولا تحكُمْ بأوّلِ ما تراهُ++ فأوّلُ طالع فجرٌ كذوبُ

هاهنا مقامات

الأوّل: بيان جواز مطلق الدعاء للغير والاستعانه بالغير، وأنّها لا تكون شركاً بالله وعباده لغيره. الثاني: ثبوت الشفاعه من حيث الكبرى للشافعين من الأنبياء والمرسلين، بل وغيرهم من المؤمنين، وأنّها تعّم الأحوال والنشآت دنياً أو آخره ; حيّاً كان الشفيع أو ميّتاً. الثالث: ثبوتها من حيث الصغرى بالعمومات الوارده في الاستشفاعات والتوسّلات ; كتاباً وسُنّه وإجماعاً وعقلا.

ص: ۱۳

ان مطلق الدعاء ليس عباده و لا شركا

اشاره

قـد ظهر ممّا تقـدّم فی معنی العباده والشـرک ما يُعرف به فساد ما أدّعاه المتكلّف. (هل الـدعاء عباده؟) فقوله: «والدعاء مخّ العباده...» إلی آخره. تمويه فی استدلاله بالمغالطه الواضحه، وما أكتفی به حتّی بنی عليها قذفه لعباد الله وموحّديه بالشرک والارتداد، وسعی فی خراب العبـاد والبلاـد، فهـاک فصـيح الجواب عنهـا بالإشـاره إلی موضع تمويهه: أمّـا قوله: «فإنّ الـدعاء مُـخّ العباده». فمسـلّم، كما هو المرویّ عن أئمّتنا سـلام الله عليهم لكن هذه المغالطه غير مُجديه لدعواه، فإنّه إن جعلها صُـغری لقياسه ; بأن يقول: الدعاء مُخّ العباده، وكلّ

ص: ۱۴

عباده لغير الله شِرک. قلنا: وهل يخفى على أحد أنّ قوله ذلک لا يصحّ منه إلّا قضيّه شخصيّه، وهى دعاء الله، فإنّ دعاءه يكون مخّ عبادته ; من حيث معرفته والالتجاء إليه، والاعتراف بأنّه الإله لواحد القادر المطلق. وأين هذا من دعائى ولدى، وأقول: يا فلان أعطنى كذا، أو توسّط لى عند فلان بكذا. هذا، وإن زعم أنّها كلّيه ; بمعنى: أنّ كلّ دعاء من كلّ أحد لكلّ أحد فى كلّ عنوان، هو عباده له ومخّ العباده. فهذا الزعم واضح البطلان، فلينظر إلى أصحابه وعلمائه وأُمرائه، فكم يدعو وينادى الرجل منهم غيره، ويستعين به فى حوائجه فى حَلّهم وارتحالهم، وسلمهم وحربهم، وقضائهم وسياستهم. فهل كلّ هذا عباده لغير الله وشِرْک به؟! وهل كلٌّ منهم مشركون؟!

الاستغاثه بالوسائط

وأمّا قوله فيما استشهد به من قول الله فى سوره القصص: ((فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ)). فقد دلّت الآيه على جواز الاستغاثه بالمخلوق فى إبقاء الحياه ; وحفظ النفس من الهلكه ;أولغيرذلک من الغايات، كمااستشهدبه هولذلک،وناقض به دعواه الأولى. وأمّا دعواه جواز حصرها فى أمر الدنيا وفيما هو المقدور للعباد من الأحياء بزعمه وقياسه. فإنّما تردّها الآيات المطلقه التى استدلّ بها على دعواه ; حسبما ادّعاه على أنّ مطلق الاستعانه بالغير والابتهال إليه والتضّرع لديه شرْک به تعالى.

ص: ۱۵

على أنّه يردّها قوله تعالى فى غير موضع من القرآن ((فَإِذَا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ)). حيث دلّت الآيه على لزوم الدعاء إلى الله فى قضاء الحاجات، والنجاه من الهلكات منه سبحانه تعالى، وأنّ ما عداه شِرْك مُناف للإخلاص. وعليه يلزم التناقض بين الآيتين. ودفعه لا يكون إلّا بدعوى: أنّ الاستعانه بالغير على وجه الاستقلال والاستبداد بإلغاء ذى الواسطه فيكون شركاً مُنافياً للعباده والخلوص، كما تقدّم فى معنى الشرك. وهذا من غير فرق بين جعل الواسطه فى الأُمور المتعلّقه بهذه النشأه أو غيرها ; حيث إنّ الشرك حرام شرعاً وقبيح عقلا، وحكم العقل ليس قابلا للتخصيص ولا التبعيض، وقد قَبِله الشرع مع اتّحاد المناط فى الحرمه.

ادله المنع من الاستشفاع

فدعوى المتكلّف: أنّ الاستشفاع بغير الله شرك، مستدلاً: تاره بقوله: ((مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)). وأخرى بقوله تعالى: ((وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى)). ومرّه بقوله تعالى فى سوره سبأ: ((وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)). وتاره بقوله تعالى فى سوره طه: ((يَوْمَئِذ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَهُ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً)). وأُخرى بقوله تعالى: ((مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى)). إلى آخر ما استشهد به لدعواه.

ص: ۱۶

الرد على ذلک

فقد یردّها: أنّ الشفاعه من المعانی النسبیّه القائمه بالطرفین، نظیر العقود والمعاملات القائمه بالموجب والقابل، فمتی لم یرضَ المُشفَّع، کما لو لم یشفع الشفیع، تقع الشفاعه لغواً. فعدم الشفاعه تاره لفقد المقتضی، أعنی قابلیّه الشفیع للشفاعه، أو المشفَّع له. أو لوجود مانع هناک ; أعنی بلوغ المعصیه إلی حدّ تمنع عنها حسبما نراه فی المتعارفات الخارجیه.

الادله على جواز الشفاعه

مضافاً إلی دلاله غیر واحد من الآیات علیه، مثل قوله: ((إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صَالِح))الآیه، حیث نهی الله نبیّه من الشفاعه فی ولده ; لأنّه قد بلغ فی المعصیه والمخالفه مالا تصحّ معها الشفاعه له. ومثله قوله تعالی: أمّا فی المنافقین ففی موضعین من القرآن: أحدهما: فی سوره البراءه: ((إِنْ تَسْتَغفِرْ لَهُمْ سَبْعِینَ مَرَّهً لَنْ یَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ)). والأُخری: فی سوره المنافقین قوله تعالی: ((سَوَاءٌ عَلَیْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ یَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ)). وأمّا فی المشرکین فقوله تعالی فی سوره البراءه: ((مَا کَانَ لِلنَّبِیِّ وَالَّذِینَ آمَنُوا أن یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ وَلَوْ کَانُوا أُولِی قُرْبَی مِنْ بَعْدِمَا تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِیم))، فتأمّل فی قوله ((مِنْ بعْدِ مَا تَبَیَّن)) ولا تغفل. وقال بعض المفسّرین فی قوله تعالی فی سوره المدثّر: ((فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَهُ الشَّافِعِینَ)): إنّ معناه لا شافع ولا شفاعه، فالنفی راجع إلی الموصوف والصفه معاً، والآیه من باب ((لاَ یَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)) من حیث إنّها سالبه بانتفاء الموضوع.

ص: ۱۷

بل، وإذا اشتدّ المانع تجافی الشفیع عن الشفاعه. وربّما ینقلب الشفیع خصیماً، کما فی سوره نوح قوله تعالی: ((رَبِّ إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبَادَکَ وَلاَ یَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً کَفَّاراً))، وهذا معنی قوله: ((وَلاَ یَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَی)) وقوله: ((مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ))، فمتی صحّ الإذن صحّت الشفاعه، ومتی لم یأتِ الإذن تقع الشفاعه لغواً، والطلب من المشفَّع له باطلا. وهذا لا دخل له بحدیث الشرک وتضمّن بعض الآیات غایتها الداله علی أنّ العباده للشفیع بإزاء شفاعته یکون شرکاً باطلا، لا أنّ جعل الشفیع یکون کفراً وارتداداً. بل یکون أمراً راجحاً یحکم به ضروره العقل، فضلا عن الشرع، کما سیجیء بیانه فی المقام الثانی.

استدلال آخر لنفی الشفاعه

وأمّا الجواب عن(استدلاله ب)قوله تعالی فی سوره مریم: ((لاَ یَمْلِکُونَ الشَّفَاعَهَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً)). فلیس فی ظاهر الآیه أنّ المقصود منها خصوص أنّ المجرمین لا یملکون الشفاعه لغیرهم، أو خصوص أنّهم لا یملکون شفاعه غیرهم لهم. لأنّ المصدر کما یجوز ویحسن إضافته إلی الفاعل، کذلک یجوز ویحسن إضافته إلی المفعول. إلّا أن نقول: إنّ حمل الآیه علی الوجه الثانی أولی ; لأنّ حملها علی الوجه الأوّل یجری مجری إیضاح الواضحات، فإنّ کلّ أحد یعلم أنّ المجرمین الذین یُساقون إلی جهنّم وِرْداً، لا یملکون الشفاعه لغیرهم، فتعیّن حملها علی الوجه الثانی.

ص: ۱۸

الآیه صریحه فی إثبات الشفاعه

بل الآیه صریحه فی الاستدلال بها للشفاعه لأهل الکبائر لقوله تعالی: ((إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ)) فکلّ من اتّخذ عند الرحمن عهداً بالتوحید والإسلام أو الإیمان بالله، فهو ممّن یجب أن یکون داخلا تحت هذه الآیه، فالآیه بظاهرها حجّه علیهم، لالهم.

التقرب بالأصنام

وأمّا قوله تعالی عن المشرکین فی سوره زمر: ((مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِیُقَرِّبُونَا إِلَی اللهِ زُلْفَی)). فلوضوح أنّ المذمّه واللوم لم تکن علی اعتقاد الشفاعه أو التقرّب إلی الله زُلفی، بل علی العباده الحقیقیّه منهم لأصنامهم، بأنّ لهم مع الله تعالی التصرّف الاستقلالی فی الأکوان، وعلّلوها: بأنّا لا نقدر علی عباده الله، فنکتفی بعباده هؤلاء الأصنام.

الآیات المانعه عن الاستشفاع خاصه

وأمّا الجواب عن(الاستدلال ب)سائر الآیات کلّها: أنّها مختصّه بالکفّار ; جمعاً بینها وبین الأدّله. فإنّها بین ما سیقت لذلک، ولدفع توهّم الاستقلال بالشفاعه، مع بیان عظمه الله وکبریائه، وأنّه لا یُدانیه أحد لیقدر علی تغییر ما یریده شفاعه وضراعه ; فضلا عن أن یدافعه عناداً أو مناصبه. کما فی قوله تعالی: ((مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ)). فالآیه مُثبته للشفاعه، و نظیرها الآیات السابقه التی استدلّ بها المتکلّف. وتؤکّدها الاستثناءات الکاشفه عن ثبوتها. قال الرازی فی قوله تعالی: ((مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ)): استفهام معناه الإنکار

ص: ۱۹

والنفی، أی لا یشفع عنده أحد إلّا بأمره، وذلک أنّ المشرکین کانوا یزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم، وقد أخبر الله عنهم: أنّهم یقولون: هؤلاء شفعاؤنا، ما نعبدهم إلّا لیقرّبونا إلی الله زُلفی. فأخبر الله أنّه لا شفاعه عنده لأحد إلّا من استثناه الله بقوله: ((إلّا بإذنه)). ونظیره قوله فی سوره النبأ: ((یَوْمَ یُقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِکَهُ صَفّاً لاَ یَتَکَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَاباً)) إنتهی. وفی سوره النجم: ((وَکَمْ مِنْ مَلَک فِی السَّمَواتِ لاَتُغْنِی شَفَاعَتُهُمْ إلاّ أنْ یَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ یَشَاءُ وَیَرْضَی)). وبین ما نزلت ردّاً للمشرکین من عَبَده الأصنام، ورغماً عمّا کانوا یزعمونه من الشفاعه لآلهتهم. کما فی سوره بنی إسرائیل: ((قلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ یَمْلِکُونَ کَشْفَ الضُّرّ عَنْکُمْ وَلاَ تَحْوِیلا)). وکما فی سوره السبأ فی قوله تعالی: ((قُلِ ادْعُو الذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ یَمْلِکُونَ مِثْقَالَ ذَرَّه)) إلی قوله: ((وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَهُ إلاَّ)). وَکما فی قوله تعالی فی سوره الزمر: ((أَم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ کَانُوا لا یَمْلِکُونَ شَیئاً وَلاَ یَعْقِلُونَ – قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَهُ)). والعجب من المتکلّف حیث أعجبه التمسّک بهذه الآیه فی منع الاستشفاعات فی غیر موضع من کتابه. وهی کما تری، والمغالطه فی إسقاطهم لصدر الآیه کما عرفت. ومثلها ما فی سوره یونس: ((وَیَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ یَضُرُّهُمْ وَلاَ یَنْفَعُهُمْ وَیَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ)). وفی سوره الروم: ((وَیَوْمَ تَقُومُ السَّاعَهُ یُبْلِسُ الْمجْرِمُونَ وَلَمْ یَکُنْ مِنْ شُرَکَائِهِمْ

ص: ۲۰

شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ)). وفی سوره الأعراف: ((يَوْمَ يَأتِی تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا)). وفی سوره الکهف: ((وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِیَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً)). وفی سوره الأنعام ((وَلَوْ تَرَی إِذِ الظَّالِمُونَ فِی غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَهِ بَاسِطُوا أَيدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ...)) إلی قوله: ((وَمَا نَرَی مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاء)) إلی غیرها فانها صریحه وافیه للمقام. وبین ما سیقت للردّ علی مقاله الیهود ; حیث قالوا: نحن أبناء الأنبیاء، وآباؤنا یشفعون لنا. فأجابهم الله بقوله تعالی فی سوره البقره: ((وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَهٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ)). وقال تعالی فی هذه السوره: ((وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَهٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ)). قال المفسّرون: إنّ حکم هذه الآیات مختصّ بالیهود ; حیث قالوا: نحن أبناء الأنبیاء وآباؤنا یشفعون لنا، فآیسهم الله من ذلک، فخرج الکلام مخرج العموم، والمراد به الخصوص. أقول: وهب أنّ العبره بعموم اللفظ لا بخصوصیّه السبب، إلاّ أنّ تخصیص مثل هذا العامّ بمثل هذا السبب المخصوص، ممّا یکفی فیه أدنی دلیل ; وکیف بالدلائل القطعیّه القائمه للشفاعه؟! فیخصّص بها قطعاً. فسقط الاستدلال بالنکره فی سیاق النفی تاره. وبعدم الانتصار اُخری.

ص: ۲۱

وبعدم إجزاء نفس عن نفس ثالثه. وهکذا الکلام فی نظائرها. وبین ما سیقت لبیان شدّه الموقف وأهواله، وأنّه یومئذ لا ینفع الکفّار بیعهم وخلّتهم وشفاعتهم بعضهم فی دفع العذاب عن خلیله أو مولاه: مثل ما فی سوره الدخان قوله تعالی: ((یَوْمَ لاَ یُغْنِی مَوْلیً عَنْ مَوْلیً شَیْئاً إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ)). وقوله فی سوره البقره: ((یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاکُمْ مِن قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لاَ بَیْعٌ فِیهِ وَلاَ خُلَّهٌ وَلاَ شَفَاعَهٌ)). قال الرازی: لما قال: ((وَلاَ خُلَّهٌ وَلاَ شَفَاعَهٌ)) أوهم ذلک أی ألخُلّه والشفاعه مطلقاً فذکر تعالی عقیبه: ((والْکَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) لیدلّ علی أنّ ذلک النفی مختصّ بالکافرین، وعلی هذا التقدیر تکون الآیه دالّه علی إثبات الشفاعه فی حقّ الفسّاق. وبین ما لبیان أنّ الشفاعه الثابته مختصّه بالمرضیّین: کقوله تعالی فی سوره طه ((یَوْمَئِذ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَهُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِیَ لَهُ قَوْلا)). وقوله تعالی: ((وَلاَ یَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَی)) أی لمن ارتضی الله دینه، وسیأتی بیانه. أو لبیان أنّ المجرمین غیر قادرین علی الشفاعه إذ لا یملکونها: کما فی سوره مریم قوله تعالی: ((وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِینَ إِلَی جَهَنَّمَ وِرْداً - لاَ یَمْلِکُونَ الشَّفَاعَهَ)) ألا تنظر إلی قوله بعده: ((إِلاَّ مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً)) إلی غیر ذلک.

ص: ۲۲

صفحه فارغه

ص: ۲۳

ثبوت الشفاعه فی العقیده الإسلامیه

اشاره

أعلم: أنّ الشفاعه أن یستوهب أحد لأحد شیئاً، ویطلب له حاجه، وأصلها من الشفع الذی هو ضدّ الوتر، کأنّ صاحب الحاجه کان فرداً، فصار الشفیع له شفعاً، أی صارا زوجاً. وقد أجمع المسلمون کافّه علی ثبوت الشفاعه، خلافاً للخوارج وبعض المعتزله، حیث خصّوها بزیاده المنافع للمؤمنین ورفع درجات المثوبین والمستحقّین. مع ضروره حکم العقل بحسن العفو عن الکبائر وصریح الُمحْکمات من الکتاب والسُّنّه، کما سیجیء ذکرها. مع ما عرفت من الجواب عمّا تمسّک به المانع المتکلّف من المتشابهات.

ص: ۲۴

الاجماع على الشفاعه

ولو لم يقم الإجماع على ثبوتها بهذا المعنى، وكانت الشفاعه بحيث يصحّ إطلاقها على مجرّد طلب الزياده، لكنّا شافعين للرسول بقولنا: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد». ضروره أنّا لم نطلب له((صلى الله عليه وآله وسلم))إلّا الزياده فى فضله. وحيث بطل هذا القسم تعيّن الثانى. لا- يقال: إنّ ذلك إنّما كان لوضوح علوّ رتبه الشفيع على المشفوع له وانحطاطهم عنه، وإنّ غرض السائل من الصلوات هو التقرّب بذلك إلى المسؤول ; وإن لم يستحقّ المسؤول له بذلك السؤال منفعه زائده. فإنّا نقول: إنّ الرتبه غير معتبره فى الشفاعه، ويدّل عليه لفظ الشفيع المشتقّ من الشفع. على أنّا، وإن قطعنا أنّ الله يكرّم رسوله ويعظّمه ; سواء سألت الأُمّه ذلك أو لم تسئله، ولكنّا لم نقطع بأنّه لا يجوز أن يزيد فى إكرامه بسبب سؤال الأُمّه ; على وجه لولا سؤالهم لما حصلت الزياده، ومع جواز هذا الاحتمال وجب أن يبقى جواز كوننا شافعين للنبىّ((صلى الله عليه وآله وسلم)). قال العلامه القوشجى: اتّفق المسلمون فى ثبوت الشفاعه ; لقوله تعالى: ((عَسَى رَبُّكَ أَنْ يَبْعَثَكَ مَقَاماً مَحْمُوداً))، وفُسّر بالشفاعه. قال: ثمّ اختلفوا: فذهب المعتزله إلى أنّها زياده المنافع للمؤمنين المستحقّين للثواب. وأبطله المصنّف: بأنّ الشفاعه لو كانت كذلك لكُنّا شافعين للنبىّ ; لأنّا نطلب زياده المنافع له. والتالى باطل ; لأنّ الشفيع أعلى رتبه من المشفوع له. إنتهى.

ص: ۲۵

وقال العلّامه فی «البحار» فی ما حکاه عن النووی فی «شرح صحیح مسلم» (۱): إنّه قال: قال القاضی عیاض: مذهب أهل السُّنّه جواز الشفاعه عقلا. ووجوبها سمعاً بصریح الآیات وبخبر الصادق((علیه السلام))، وجاءت الآثار التی بلغت بمجموعها التواتر بصحّه الشفاعه لمذنبی المؤمنین، وأجمع السلف ومن بعدهم من أهل السُّنّه علیها. ومنعت الخوارج وبعض المعتزله منها، وتعلّقوا بمذاهبهم فی تخلید المذنبین فی النار، واحتجّوا بقوله تعالی: ((فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفاعَهُ الشَّافِعِینَ)) وأمثاله، وهی فی الکفّار. وأمّا تأویلهم أحادیث الشفاعه وغیرها فهی صریحه فی بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار. انتهی.

العقل یدل علی صحه الشفاعه

وأمّا العقل فقد قالت الفلاسفه فی هذا المقام: إنّ واجب الوجود عامّ الفیض تامّ الجود، فحیث لا تحصل الشفاعه فإنّما هو لعدم کون القابل مستعدّاً، ومن الجائز أن لا یکون مستعداً لقبول ذلک الفیض من شیء قبله عن واجب الوجود، فیکون ذلک الشیء کالمتوسّط بین واجب الوجود وبین ذلک الشیء الأوّل. ومثاله فی المحسوس أنّ الشمس لا تضیء إلّا للقابل المقابل، وسقف البیت لما لم یکن مقابلا لجِرْم الشمس، فلا جَرَمَ لم یکن فیه استعداد لقبول النور عن الشمس، إلّا أنّه إذا وضع طشت مملوّ من الماء الصافی، ووقع علیه ضوء الشمس، أنعکس ذلک الضوء من ذلک الماء إلی السقف، فیکون ذلک المآء الصافی متوسّطاً فی وصول

۱- شرح صحیح مسلم، للنووی ۳/۳۵ باب إثبات الشفاعه وإخراج الموحّدین من النار.

ص: ۲۶

النور من قُرص الشمس إلى السقف الذى غير مقابل للشمس. وأرواح الأنبياء والأوصياء والصالحين، كالوسائط بين واجب الوجود وبين الخلق. والتحقيق: أنّ المعصيه ليست بما هى علّه للتعذيب والخلود، وإنّما هى المقتضى له لولا ـ المانع ; من الاستشفاعات المنصوبه من الله الرؤوف المالك للشفاعه. كما يشهد به الكتاب والسُّنّه وبداهه حكم العقل مع قرينه شدّه الرأفه والرحمه منه تعالى. ولذلك فرّق الشارع بين نيّه الحسنه ونيّه السيّئه فى الاستحقاق وعدمه، مع أنّهما فى الاقتضاء سواء ; سبقت رحمته غضبه. فقد ظهر: أنّ الحديثين إنّما سيقا لبيان الاقتضاء: أمّا الأوّل: فبدليل قوله((صلى الله عليه وآله وسلم)) فى النبوى: ((لو لم ترسلوا عليها ناراً فتحرقوها)). أمّا الثانى: فبضروره ما فى السباق من احتمال العثرات، وصريح ما ورد فى الحَبْط من الآيات والعمومات، النافيه لاستحقاق العقوبه على نيّه السيّئات، وأنّها لا تكتب مالم يتلبّس بها. وبالجمله: فلو لم تكن المعاصى مقتضيات لما كان النادم عليها ماحياً لها تائباً عنها، كما صحّ: أنّ ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)). وقوله((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((من سرّته حسنته وسائته سيّئته فهو مؤمن)). وذلك لوضوح أنّ من ساءته سيّئه، فهو النادم منها التائب عنها الماحى لها، ومعه فلا ـ غَرْوَ ولا ـ عجب أن يجعل الله الأمر بالمودّه والتمسّك والتوسّل بذوى القربى من أهل بيت رسوله، مانعاً لتأثير المعصيه، شافعاً فيها، توبه عنها، ماحياً لها، وإن رغم الراغمون، وخسر هنالك المبطلون.

ص: ۲۷

تذبذب بين المعتزله و الأشعريه

وليت شعرى، ولاـ يكاد ينقضى تعجبى، من هؤلاء الإخوان، وما أدرى أنّهم فى إنكارهم للشفاعه أشعريّه أم معتزله، وبأيّهما اقتدوا؟ وبأىّ ديانه دانوا فتديّنوا؟ فإن كانوا فى الأُصول أشعريه فقد عرفت أنّ مذهبهم على ثبوتها وإثباتها. وإلاّ فيرد عليهم ما يرد على المعتزله من المناقضه لأصلهم، فإنّ من قال بقاعده التقبيح والتحسين، فقد التزم فى المسأله موافقه الأشعريّين، فظهر أنّهم دانوا بالشفاعه من حيث لا يشعرون.

الآيات الداله على ثبوت الشفاعه

وأمّا الآيات: فقد قال الله تعالى فى سوره الإسراء: ((عَسى رَبُّكَ أن يَبْعَثَكَ مَقاماً مَحْمُوداً)). وقال فى سوره الضحى: ((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)). وقال فى سوره المؤمن: ((أَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْء رَحْمَهً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِم - رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْن الَّتِى وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَآئِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)). وقال تعالى فى سوره يوسف حاكياً مقاله الأسباط: ((قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)) إلى قوله: ((سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ)). وقال تعالى فى سوره النساء: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً)). وقال تعالى فى حكايته عن عيسى((عليه السلام)): ((إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ

ص: ۲۸

فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ)). وقال تعالی حکایه عن إبراهیم: ((فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی وَمَنْ عَصَانِی فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ)). فقد دلّت الآیات کغیرها علی ثبوت الشفاعه لنبیّنا خاصّه وللملائکه والنبیّین والأولیاء والصالحین عامّه وشفاعه القرآن أیضاً. حیث لا یجوز حمل هذه الآیات علی الکافر، فإنّه لیس أهلا للمغفره بالإجماع. ولا یجوز حمله علی صاحب الصغیره. ولا علی صاحب الکبیره بعد التوبه ; لأنّ غفرانه لهم واجب عقلا عند الخصم، فلا حاجه له إلی الشفاعه. فلم یبقَ حمله إلّا علی صاحب الکبیره قبل التوبه.

الروایات الداله علی ثبوت الشفاعه

ویؤیّد ذلک: ما رواه الرازی عن البیهقی: ((أن النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)) لمّا تلا هاتین الآیتین رفع یدیه، وقال: إلهی أُمّتی أُمّتی، وبکی، فقال الله: یا جبرائیل إذهب إلی محمّد وربّک أعلم فَسَلْهُ ما یبکیک؟ فأتاه جبرائیل، وسأله فأخبره رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم)) بما قال، فقال الله: یا جبرائیل إذهب إلی محمد وقل له: إنّا سنُرضیک فی أُمّتک)) (۱). وقوله((صلی الله علیه وآله وسلم)) فی الصحیح: ((إدّخرتُ شفاعتی لأهل الکبائر من أُمّتی)) (۲).

۱- التفسیر الکبیر للرازی.

۲- مجمع الزوائد ۷/۵، مسند أحمد ۲/۳۱۳ و ۳/۲۰ بلفظ أخّرت، ولاحظ سنن ابن ماجه ۲/۱۴۴۱، والترمذی ۴/۴۵، والحاکم فی المستدرک ۱/۶۹ و ۲/۳۸۲.

ص: ۲۹

وقوله((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((وأُعطيت الشفاعه)) رواه البخارى (۱). وصحّ أيضاً عنه فيما أخرجه بإسناده عن عمران بن حصين، قال: ((يخرج من النار بشفاعه محمّد((صلى الله عليه وآله وسلم)) فيدخلون الجنّه، ويسمّون الجهنّميين)) (۲) إلى غير ذلك. وقال الرازى فى قوله تعالى: ((وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ)) إجلالا له حيث أكرمه بوحيه، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك فإنّ الله لا يردّ شفاعته، فكانت الفائده فى العدول عن لفظ الخطاب إلى الغيبه ما ذكرناه (۳). أقول: ومثلها فى الدلاله قوله: ((الذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ)) فإنّ هذه الآيه نصّ صريح فى المدّعى، ولا سيّما بقرينه ذكر الاستغفار الملازم لإسقاط العقاب وذكر ((الذين آمنوا)) و((الذين تابوا)) إلى غير ذلك. والمناقشه فيها: بأنّ قيد التوبه واتّباع السبيل مما هى قرينه على ثبوت الشفاعه بالمعنى الخاصّ وصرفها عن عموم الدعوى لأنّ التائب والمتّبع للسبيل لا يفتقران إلى الشفاعه بالمعنى العامّ. مدفوعه: بالنقض بقيد المغفره الظاهره فى معنى الحطّ والستر للذنب، وحلّا: بأنّ القيدين هنا من باب ذكر بعض أفراد العامّ وأقسامه، فلا يُخصّص العامّ بها، وهذا ثابت فى علم أُصول الفقه. ثم يدلّ أيضاً على ثبوت الشفاعه للملائكه قوله تعالى فى صفتهم فى سوره الأنبياء: ((وَلَا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى)).

۱- صحيح البخارى ۱/۱۱۳ و ۲۱۱، وصحيح مسلم ۲/۶۳، وسنن النسائى ۱/۲۱۱، والدارمى ۱/۳۲۳، ومسند أحمد ۴/۴۳۴.

۲- صحيح البخارى ۷/۲۰۲ و ۲۰۳ الرقاق، وصحيح مسلم ۱/۱۲۳ الإيمان، والترمذى ۴/۱۱۴، وسنن ابن ماجه ۲/۱۴۴۳ الزهد، ومسند أحمد ۴/۴۳۴، وراجع مجمع الزوائد للهيثمى ۱۰/۳۷۹، وكنز العمال ۱۴/۴۰۸ و ۵۰۶ و ۵۱۳ و ۵۴۱.

۳- التفسير الكبير للفخر الرازى.

ص: ۳۰

ووجه الاستدلال: أنّ صاحب الكبيره هو المرتضى عند الله بحسب إيمانه وتوحيده، وكلّ من صدق عليه أنّه المرتضى عند الله بهذا الوصف وجب أن يكون من أهل الشفاعه، فإنّ الاستثناء من النفى إثبات. وإذا ثبت أنّ صاحب الكبيره داخل فى شفاعه الملائكه، وجب دخوله فى شفاعه الأنبياء وشفاعه نبيّنا محمد((صلى الله عليه وآله وسلم))بعدم القول بالفصل. ((لا يقال:)) إنّ صاحب الكبيره فاسق، والفاسق ليس بمرتضىً بحسب فسقه وعصيانه. لأنا نقول: قد تبيّن فى العلوم المنطقيه أنّ المهملتين لا تتناقضان، فالمرتضى بحسب إيمانه لا ينافيه عدمه بحسب فسقه. وقال الرازى: اعلم أنّ هذه الآيه أقوى الدلائل لنا فى إثبات الشفاعه لأهل الكبائر. وتقريره: هو أنه من قال: «لا إلهَ إلّا الله» فقد ارتضاه فى ذلك، ومتى صدق عليه أنّه ارتضاه الله فى ذلك فقد صدق عليه أنّه ارتضاه الله، لأنّ المركّب متى صدق فقد صدق لا محاله كلّ واحد من أجزائه، وإذا ثبت أنّ الله قد ارتضاه وجب اندراجه تحت هذه الآيه. وقال فى قوله تعالى: ((فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَهُ الشَّافِعِينَ))، كما نرى فى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكه والنبيّين. ثم قال: احتجّ أصحابنا بمفهوم هذه الآيه، وقالوا: إنّ تخصيص هؤلاء بأنّهم لا تنفعهم شفاعه الشافعين يدلّ على أنّ غيرهم تنفعهم شفاعه الشافعين. وفى تفسير آخر: فما تنفعهم شفاعه الشافعين كما نفعت للموحّدين. وقال فى قوله تعالى: ((عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)): قال الواحدى: أجمع المفسّرون على أنّه مقام الشفاعه كما قال النبى((صلى الله عليه وآله وسلم)) فى

ص: ۳۱

هـذه الآیه ((هو المقام الـذی أشـفع فیه لأُمّتی)). ثمّ أخـذ فی بیان وجوه الاسـتدلال بها، وتضـعیف ما فسّـره البعض بآرائهم. ورواه أبو السـعود فی تفسیره عن أبی هریره. وقال فی قوله تعالی: ((وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی)): عن تفسیر وکیع قال: ولسوف یُشفّعک، یا محمّـد، یوم القیامه فی جمیع أهل بیتک وفی أُمّتک، وتـدخلهم الجنّه ترضـی بـذلک عن ربّک. وعن فردوس الـدیلمی قال: الشـفعاء خمسه: القرآن والرحم والأمانه ونبیّکم وأهل بیت نبیکم. والعلاّمه أبو السـعود فی تفسیره عن سعید بن جبیر قال: یدخل المؤمن الجنّه، فیقـول: أین أبی وولـدی؟ وأین زوجی؟ فیقـال له: لم یعملـوا مثـل عملـک، فیقول: إنّی کنتُ أعمـل لی ولهم، فیقـال: أدخلوهم الجنّه بشفاعته وسبق الوعد بالإدخال. ثمّ قال فی الجواب عن شبهه هؤلاء: والإدخال لا یستدعی حصول الموعود بلا توسّط شفاعه واستغفار، وعلیه مبنی من قال: إنّ فائده الاسـتغفار زیاده الکرامه والثواب، والأوّل هو الأولی، لأنّ الدعاء بالإدخال فیه صریح، وفی الثانی ضمنیّ، إنتهی کلامه. وعن بشـر بن ذریـح البصـری، عن محمّد بن علیّ((علیهما السـلام)) فی قوله تعالی: ((وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَـی)) قـال: قـال: ((الشـفاعه، والله الشـفاعه، والله الشـفاعه)). وقـال الرازی فی هـذه الآیه: یعنی به الشـفاعه تعظیماً لنبیّه. قال: عن علیّ بن أبی طالب((علیه السـلام)) وابن عبّاس: إنّ هذا لهو الشـفاعه فی الآیه. یروی أنّه لما نزلت الآیه قال((صـلی الله علیه وآله وسـلم)): ((إذن لا أرضی وواحد من أُمّتی فی النار)). ثمّ قال: واعلم أنّ الحمل علی الشفاعه متعیّن، ویدلّ علیهوجوه ذکرها هناک (۱).

۱- التفسیر الکبیر للرازی.

ص: ۳۲

وفی «النهایه» لابن الأثیر قال فی ترجمه «وحا» من فی حدیث أنس: ((شفاعتی لأهل الکبائر من أمّتی حتّی حکم وحاء)) (۱) قال: وهما قبیلتان جافیتان من وراء رمل یَبْرِیْنَ، ومثله قال فی ترجمه «حَکَم». وفی مرفوعه جابر عنه((صلی الله علیه وآله وسلم)) فی حدیث له أنّه قال: ((أنا سیّد ولد آدم ولا فخر، وفی ظلال الرحمن یوم لا ظلّ إلاّ ظلّه ولا فخر، ما بال قوم یزعمون أنّ رحمی لا ینفع، بل حتّی یبلغ حانکم أنّی لأشفع فأُشفّع)) الخبر إلی قوله: ((حتّی إنّ إبلیس لیتطاوَل طمعاً فی الشفاعه)) (۲). وعن عبدالله بن عبّاس عن النبیّ أنّه قال: ما من رجل مسلم یموت، فیقوم علی جنازته أربعون رجلا لا یشرکون بالله شیئاً، إلاّ شفّعهم الله فیه (۳). إلی غیر ذلک من الآیات والروایات فی إثبات عموم الشفاعه بما ورد من أعیان علماء السُّنّه والجماعه ومفسّریهم، مالا یحتمله هذا المختصر، فلیراجع المطوّلات.

تمویه فی إنکار الشفاعه

وبعدما أسلفناه وما سیأتی فی معنی الاستشفاع بالأولیاء، فلا یُصغی إلی شیء ممّا تکلّف به محمد بن عبد الوهّاب فی رسالته من التمویه والمغالطه تبعاً لإمامَیْهِ ابن القیّم وابن تیمیّه بقوله: فإن قال: إنّ النبیّ أُعطی الشفاعه وأطلبه مما أعطاه الله.

۱- انظر کنز العمال ۱۴/۴۱۲.

۲- مجمع الزوائد ۱۰/۳۷۶ و ۳۸۰ عن الطبرانی فی الأوسط.

۳- مسلم ۳/۵۳، والترمذی ۲/۲۴۷، وابن ماجه ۱/۴۷۷، والنسائی ۴/۷۵، مسند أحمد ۳/۶۶ کلهم فی الجنائز، وانظر کنز العمال ۱۵/۵۸۱، ومجمع الزوائد ۵/۲۹۲.

ص: ۳۳

فالجواب: إنّ الله أعطاه الشـفاعه، ونهاک عن هـذا ; يعنى به الشـرک، وقال ((فَلَا تَـدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً)). فإن كنت تدعو الله أن يشـفّعه فيک فأطعه فى قوله: ((فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً)). وأيضاً فإنّ الشـفاعه أعطاها غير النبىّ، فصحّ أنّ الملائكه يشـفعون، والأولياء يشفعون، والأـفراط يشـفعون أتقول: إنّ الله أعطـاهم الشـفاعه فأطلبها منهم؟! فإن قلت هـذا، رجعت إلى عباده الصالحين. أقول: إعلم أنّ موضع المغالطه من كلامه، هو أنّه زعم أنّ الشـفاعه هى شـفع الغير مع الله فى المسأله والدعوه لقضاء الحوائج. ولم يَدْرِ المسـكين أنّ الشفاعه كما مرّ تعريفها فى صدر المقام هو شـفع الغير وضـمّه مع المستشفع للذهاب إلى الله وتوجّههما معاً إليه سبحانه، ودعاؤنا الشفيع دعوته لذلک، لا ما توهّمه المغالط.

ليست الشفاعه بشرک

وبعدما ثبتت الشـفاعه إجمالا وتفصـيلا، كتاباً وسنهً، إجماعاً وعقلا، حيّاً كان الشفيع أو ميّتاً، فقد علم بالضروره من الشريعه: أنّها ليست بشـرک. وأنّ الاستشـفاعات والتوسّـلات لاـ تنـافى شـيئاً من التوحيـد ولا الإخلاص. وأنّ دعاء الصالحين والالتماس منهم إنّما هو لكى يـدعو الله للعباد بالرحمه والمغفره، فليس من الدعاء المنهىّ عنه. وإنّما الدعاء المنهىّ عنه فى قوله تعالى: ((فَلَا تَدْعوا مَعَ اللهِ أَحَداً)) هو أنّ العبد يقرن الصالحين بالله فى دعائه، ويسألهما معاً فى عرض واحد، وذلک بقرينه لفظ «مع»، وكما هو معنى الشرک والتشريک فى العباده، فإنّ الإشراک هنا وضع

ص: ۳۴

المعبودیّه فی غیر الله. کما فی قوله: ((یَا بُنَیَّ لاَ تُشْرِکْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ)). وقوله تعالی عن إبلیس: ((إِنِّی کَفَرْتُ بِمَا أَشْرَکْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ)). قال الرازی: أی بإشراککم إیّای مع الله فی الطاعه. وقوله تعالی عن موسی: ((وَأَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی)). بجعله شریکاً له معه فی النبوّه. وأمّا إذا لم یکن سؤاله حقیقه إلّا من الله، ولم یکن له النظر مستقلّا إلّا إلیه تعالی دون غیره، فیدعو الله ویسأله بوجه نبیّه، فهذا لیس من الشرک فی شیء. یفصح منه لفظ الشرک المشتقّ من مادّه الإشراک بجعل الشریکین علی نمط واحد. فلو سأل العبد النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)) أن یغفر له ذنبه، أو سأل النبیّ مع الله بقوله: یا أللّه ویا نبیّ الله أغفرا لی ذنبی، کان ذلک شرکاً منه. وأمّا لو سأله أن یسأل الله غفران ذنبه، فهذا من غفران الذنب الموعود من الله بالشفاعه، والسؤال منه تعالی، لا من النبیّ. وإنّما المسؤول من النبیّ التماس دعائه من الله تعالی لیسأله بوجهه.

صور من الأدعیه المأثوره

وهذه دعواتنا المأثوره عن الأئمّه((علیهم السلام))، حیث نقول: ((اللّهمّ إن کانت الذنوب والخطایا قد أخلقت وجهی، فإنّی أسألک بوجه حبیبک محمّد)). وفی الدعاء عند النوافل اللیلیّه: ((اللّهمّ إنّی أتوجّه إلیک بنبیّک نبیّ الرحمه محمّد((صلی الله علیه وآله وسلم))، وأُقدّمهم بین یدی

ص: ۳۵

حوائجی فی الـدنیا والآـخره، فـاجعلنی بهم عنـدک وجیهـاً فی الـدنیا والآخره ومن المقرّبین. أللّهمّ أرحمنی بهم، ولا تعـذبّنی بهم...)) الدعاء. فلیس المراد بالاسـتغاثات والتوسّـلات إلّا طلب الدعاء من المسـتغاث، کما فی قوله عزّوجلّ فی القدسـیّات: ((یا موسی أُدعُنی بلسـان لم تعصِـنی به، فقال: یا ربّ وأین ذلک؟ فقال: بلسان الغیر)). وأیضاً، فإنّ بنی إسـرائیل قـد دعوا الله بلسان نبیّهم فی مواضع من القرآن ; حیث حکی الله عنهم فی قوله تعـالی: ((لَنْ نَصْبِرَ عَلی طَعَام وَاحِـد فَادْعُ لَنَا رَبَّکَ))الآیات. فأنِصفْ وراجع. أین هـذا من دعاء الغیر أو شـرکه الغیر مع الله فی الـدعاء؟! سُـبحانک إنْ هـذا إلّا بهتان عظیم. وکیف کان، فقـد عرفت أنّ الآیات والروایات لاتدلّ علی النهی بشیء من ذلک کلّه، بل الآیات علی خلافه کما عرفت.

الاستشفاع بالأموات

ثمّ، ومن أوهن المناقشات والشـفاعات والتوسّـلات، هو المناقشه فی جوازها بعـد موت الشـفیع. وذلک لثبوت جوازها مطلقاً ; من غیر فرق بین النشآت. بعد صـریح عبارته فی رسالته بشفاعه الملائکه والأولیاء والأفراط. وصریح الآیات بحیاتهم المستقرّه بعد موتهم. ومع اتّحاد المناط فی الغایات.

ص: ۳۶

وحکم العقل بحسن الواسطه من غیر تخصیص ولا تبعیض. وبالجمله: فقد أطنب الوهابیّه فی شبهه العابد بالمعبود، وشبهه الزیاره بالعباده ; حتّی صاروا بجمودهم وخضوعهم لشبهتهم هذه، کأنّهم آله هدم الإسلام باسم الإسلام. قد أوضحنا الجواب عن الأُولی.

الزیاره والعباده

وأمّا الثانیه: فأمّا قوله فیما نسجه: «ونحن أنکرنا استغاثه العباده التی یفعلونها عند قبور الأولیاء التی لا یقدر علیها إلّا الله...» إلی قوله: «وأمّا بعد موته یعنی به النبیّ فحاشا إنّهم ما سألوه عند قبره، بل أنکر السلف...» إلی آخر کلماته. فأقول: ولیت شعری ما هذا النکیر؟! وما قیاس الأنبیاء والشهداء المصرّح بحیاتهم المستقرّه فی القرآن بسائر الموتی؟! وما معنی إضافه الاستغاثه إلی العباده؟! وما المانع من الاستغاثه عند قبور الأولیاء؟! وما المراد بقوله: «لا یقدر علیها إلّا الله»؟! وما هذا الخبط؟! ثمّ وما هذا التحاشی والخلط ودعوی الإنکار؟ أفعلی عمد ترکوا کتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم؟ فإن کان المانع منها هو شبهه الشرک، فقد عرفت فساده بما لا مزید علیه.

ص: ۳۷

وقد تقدّم أنّ الساعی لحاجه إخوانه عند باب مولاه لا یرتفع عن مقام العبودیه بشیء. فلیست الشفاعه والاستشفاع إلّا قسماً من الدعاء الشامل لجمیع الناس، واختصاص الأولیاء والخواصّ بها باعتبار قبولها. وقد ورد فی باب زیاره النبیّ کما عن حُجّه الإسلام الغزالی قال: «ثمّ ترجع وتقف عند رأس رسول الله بین القبر والأُسطوانه الیوم وتستقبل القبله...» إلی قوله: «ثمّ تقول: ((أللّهمّ إنّک قلت وقولک الحقّ.. ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوکَ وَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحیماً)). أللّهمّ إنّا قد سمعنا قولک، وأطعنا أمرک، وقصدنا نبیّک متشفّعین به إلیک فی ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا، تائبین من زللنا))...» إلی قوله: ((أللّهمّ لا تجعله آخر العهد من قبر نبیّک ومن حرمک یا أرحم الراحمین)). ومعاذ الله أن یرفع المسلمون أحداً من هؤلاء المَزُورین عن مقام العبودیّه، أو یذکرهم فی الدعاء بغیر الاستشفاع والتوسّل. فأین وصمه الشرک؟! ثم وما حدیث التبعیض والتخصیص؟! وهل ظفر المتکلّف بعد ما تقدّم فی الشفاعات والتوسّلات بآیه أو روایه تخصّص بها العمومات، أو تقید بها المطلقات؟ أو یناقض بها ما صرّح به من قبل بقوله: «فصحّ أنّ الملائکه یشفعون، والأولیآء یشفعون، والأفراط یشفعون»؟! ولیت شعری، فإن کان المناط فی الشرک هو مجرّد التوسّل بالغیر والاستشفاع به. فهو الموجود عیناً فی الآخره، کما ورد أنّ الناس یسألونهم الشفاعه یوم

ص: ۳۸

القیامه، فیشفعون لهم عند الله، فیُشفَّعون فیهم. وإذا کانت المسأله والتوسّل موجوداً فی النشأتین، والمناط قائم فی المقامین. فمن أین جاءت هذه الخصوصیه؟! علی أنّه یلزم منه أن یکون الباطل بما هو باطل ینقلب فی الآخره حقّاً، والحقّ بما هو حقّ یکون فی الدنیا باطلا وشرکاً. وهذا هو التناقض البیّن وصریح الانقلاب المحال.

المزورون أحیاء فی قبورهم

وإن کان المانع منهما هو الموت فقد أثبت محکم القرآن حیاتهم المستقرّه حیاهً مخصوصه بهم، فیسمعون ویعقلون ویعرفون من یخاطبهم. ولاـ غرو فی الحیاه بعد الموت مع الإقرار بعموم قدرته تعالی، فجاعل الروح فی النطفه یضعها فی التراب وحیث یشاء. فلو کان خطاب الموتی ممّا یوجب عند الجاهل عبثاً، فلا یوجب کفراً وشرکاً. وبالجمله: فإطلاق الموت وخصوصیّه کیفیّه عود الأجسام المختصّه بالقیامه، ممّا لاـ ینافی شیء منها لحیاتهم المستقرّه الثابته لهم بعد الموت. وعلیه اعتقاد أعاظم المحققین من علماء السُّنّه والجماعه. ویعاضده الأحادیث المعتبره کما لا یخفی. وکما فی تفسیر قوله تعالی: ((واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَکَ مِنْ رُسُلِنَا)). وکان الأُستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادی شیخ الشافعی یقول: إنّ الأنبیاء لا تبلی أجسادهم، ولا تأکل الأرض منهم شیئاً، ولقد التقی نبیّنا مع إبراهیم وموسی بن عمران. وقال الرازی فی قوله تعالی: ((بَلْ أَحْیَاءٌ)):

ص: ۳۹

«إنّهم فی الوقت أحیآء کان الله أحیاهم لإیصال الثواب إلیهم، وهذا قول أکثر المفسّرین». ثمّ أخذ یستدلّ علی حیاتهم المستقرّه بوجوه، سادسها: زیاره قبور الشهداء وتعظیمها إنتهی. علی أنّهم یسمعون السلام، ویفهمون الکلام. وأنّ النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)) یبلغه صلوات المصلّین علیه، ویسمعهم، وهو یعلم بهم وبمقامهم، کما ورد فی الصحاح: منها: ما عن سنن أبی داود، رواه عن أبی هریره قال: قال((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((ما من أحد یسلّم علیّ إلّا ردّ الله علیّ روحی حتّی أردّ السلام)) (۱). وعن صحیح النسائی عنه((صلی الله علیه وآله وسلم)) قال: ((إنّ لله ملائکه فی الأرض یبلّغونی من أُمّتی السلام)) (۲). وفی مرفوعه ابن عبّاس عنه((صلی الله علیه وآله وسلم)) قال: ((أکثروا علیّ من الصلاه یوم الجمعه، فإنّ صلاتکم معروضه علیّ... إلی قوله : فإنّ الله حرّم علی الأرض لحوم الأنبیاء)) (۳). وفی حدیث آخر صحّ عنه قال: ((علمی بعد مماتی کعلمی فی حیاتی)) (۴). وفی آخر قال: ((إنّ الله وکّل ملَکاً یُسمعنی أقوال الخلائق، یقوم علی قبری،

۱- السنن الکبری للبیهقی ۵/۲۴۵ باب زیاره قبر النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم))، ومجمع الزوائد للهیثمی ۱۰/۱۶۲ عن الطبرانی فی الأوسط، وکنز العمال ۱/۴۹۱ عن أبی داود.

۲- سنن النسائی ۳/۴۳ فی نوع آخر من التشهّد.

۳- سنن النسائی ۳/۹۱، وسنن الدارمی ۱/۳۶۹، وسنن ابن ماجه ۱/۳۴۵ و ۵۲۴، ومستدرک الحاکم ۱/۲۷۸ و ۴/۵۶۰، والسنن الکبری للبیهقی ۳/۲۴۹، وکنز العمال ۱/۴۹۹ و ۷/۷۰۸.

۴- لم أجده، لکن فی مجمع الزوائد ۴/۲: من حجّ، فزار قبری فی مماتی کان کمن زارنی فی حیاتی، رواه الطبرانی فی الکبیر والأوسط.

ص: ۴۰

فلا يصلّى علىّ أحد إلّا قال: يا محمّد إنّ فلان بن فلان يصلّى عليك، صلّوا علىّ حيثما كنتم، فإنّ صلاتكم تبلغنى)) (۱). كما فى المروىّ عن الدار قطنى فى السنن عنه((صلى الله عليه وآله وسلم)) أنّه قال: ((من زار قبرى وجبت له شفاعتى)) (۲). وعن ابن عمر مرفوعاً عنه أنّه قال: ((من جاءنى زائراً ليس له حاجه إلّا زيارتى، كان حقاً علىّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامه)) (۳). وفى آخر: ((من زارنى كنت شهيداً أو شفيعاً)). ثمّ إنّ هؤلاء المزورين من الأولياء والصالحين، إن هم إلّا عباد الله الذين تشرّفوا بطاعتهم وعبادتهم وتوحيدهم له جلّ شأنه، ولهم التقدّم بسابقتهم فى الإسلام، واجتهادهم فى الدين. وقد ورد فى الشريعه المطهّره والسُّنّه النبويّه من الرجحان فى زياره سائر المؤمنين من أهل القبور والتسليم عليهم، فكيف بهؤلاء؟! وهل يكون التسليم على مثل هؤلاء الصالحين شِركاً وقد سلّم الله عزّوجلّ فى كتابه على آحاد من الأنبياء والمرسلين، فقال: ((سَلَامٌ عَلَى نُوح فِى الْعَالَمِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَرُونَ)). وقد سلّم على يحيى وإلْياسين، وصلّى على الصابرين من المؤمنين، وأمر رسوله بالسلام عليهم. وأوجب على المسلمين كافّه أن يُخاطبوا نبيّهم فى كلّ يوم خمس مرّات إلى يوم

۱- مجمع الزوائد ۱۰/۱۶۲ عن الطبرانى فى الكبير والأوسط، وكنز العمال ۱/۴۹۴ عن الفردوس.

۲- مجمع الزوائد ۴/۲ عن البزار.

۳- مجمع الزوائد ۴/۲ عن الطبرانى فى الكبير والأوسط.

ص: ۴۱

القیامه بالصلوات علیه فیقولوا: ((السلام علیک أیّها النبیّ ورحمه الله وبرکاته)). وفرض السلام علی عباد الله الصالحین من جمیع المؤمنین السالفین منهم واللاحقین. وأن لا یتمّ لأحد صلاته إلّا بالصلوات علی نبیّه محمّد((صلی الله علیه وآله وسلم)) الطاهرین. ولَنِعْم ما قال الشافعی، کما روی عنه ابن حجر فی «الصواعق»: یا آل بیتِ رسول الله حُبُّکُمُ++ فرضٌ من الله فی القرآنِ أنزلَهُ کفاکُمُ من عظیم الفخرِ أنّکُمُ++ من لا یصلّی علیکم لا صلاهَ لَهُ

دفاع الآلوسی البغدادی عن الوهابیه

وأمّا ما ذکره ابن الآلوسی البغدادی فیما روّج به أمر الوهابیین من «تاریخ نجد» فی صفحه ۴۸ قال: والذی اعتقدوه فی النبیّ أنّ رتبته أعلی مراتب المخلوقین علی الإطلاق، وأنّه حیّ مرزوق فی قبره حیاه مستقرّه أبلغ من(حیاه)الشهداء المنصوص علیها فی التنزیل ; إذ هو أفضل منهم، وأنّه یسمع سلام من یسلّم علیه، وأنّه تسنّ زیارته غیر أنّه لا تُشدّ إلیه الرحال. ففیه أوّلا: أنّ صراحه الآیات الُمحکمه فی التنزیل، کما تراها ممّا تعمّ النبیّ وغیره من الشهداء والأولیاء ممّن قُتل فی سبیل الله، فلا اختصاص لها بالنبیّ، وإلّا لأفرده الله بالذکر دونهم. وإذا کان کذلک فیتبعها لا محاله آثارها ولوازمها، من السلام والدعاء والتوسّل، کما فی حیاتهم. وثانیاً: أنّ المراد من الحیاه الثابته لهم بقوله تعالی: ((بَلْ أَحْیَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

ص: ۴۲

یُرْزَقُونَ)) إنّما هو الأکمل والأبلغ من الحیاه البرزخیّه الثابته لعموم الموتی، وذلک لوجهین: الأوّل: تخصیص الشهداء بالذکر هنا دونهم. والثانی: إفراد سائر الموتی بالذکر فی آیه أُخری، لقوله تعالی فیهم: ((وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیهَا بُکْرَهً وَعَشِیّاً)). وقال فی حیاه الکفّار منهم: ((أَلنَّارُ یُعْرَضُونَ عَلَیْهَا غُدُوّاً وَعَشِیّاً ;)) وذلک لأنّ حیاه القیامه لیس فیها بُکره ولا عشیّ. هذا مع رعایه الأفضلیّه. وفی المعتبره أنّه لما سُئِل النبیّ عن تکلّم الموتی، فقال((صلی الله علیه وآله وسلم)) ((نعم إنّهم یتزاورون)). وشواهد المقام لا تُحصی. فقد ظهر فساد قوله فی رسالته: ونحن أنکرنا الاستغاثه التی یفعلونها عند قبور الأولیاء، التی لا یقدر علیها إلّا الله. فإنّک بعدما عرفت النصوص الصریحه من القرآن، مع تصریح هؤلاء الوهّابیین واعترافهم للأولیاء والصالحین بحیاتهم المستقرّه، وأنّهم فیها مرزوقون منعّمون، فرحون مستبشرون، متزاورون، ولمن حیّاهم بتحیّه، أو سألهم مسأله سامعون، وبهم عارفون، وإلی الله متضرّعون سائلون، فقد اعترفوا بالمقدور. وأمّا رفع الحاجه والسؤال فی کلّ حال من الأحوال إلی الله القادر علی کلّ شیء فممّا لیس فیه إشکال.

السنه والسیره فی زیاره القبور

وأما شدّه إنکارهم لزیاره القبور والوقوف علیها والدعاء لدیها. فالجواب عنه فضلا عمّا عرفت: هو البیان بدلیل القرآن وجمیع المأثور فی

ص: ۴۳

زیاره القبور وما ورد فی فضلها، وأنها من السُّنّه، وما ورد من الأعمال والأدعیه هناک. فضلا عن سیره رسول الله فی زیارته شهداء أُحد، وحضوره لزیاره مقابر البقیع، ووقوفه علیها فی الترحیم والتسلیم، وأمره وحثّه وترغیبه وتقریره علیها. کما ورد قوله: ((کنتُ قد نهیتُکم عن زیاره القبور ألا فزوروها، فإنّها تذکّرکم الآخره)) (۱). وفی المروی عن الحاکم عن أبی ذر قوله: ((زر القبور تذکر بها الآخره))، ومثله المرویّ عن أبی هریره فیما سیأتی بیانه. وقد روی حجّه الإسلام الغزالی فی الإحیاء عن ابن أبی ملیکه، قال: «أقبلت عائشه یوماً من المقابر، فقلت: یا أُمّ المؤمنین من أین أقبلت؟ قالت: من قبر أخی عبدالرحمن. فقلت: ألیس کان رسول الله نهی عنها؟ قالت: نعم، ثمّ أمر بها». والسرّ فی النهی الأوّل: أنه کان ذلک بدوَ الإسلام، وفی زیاره القبور وتذکار الموتی کان باعثاً علی الجبن عن الجهاد، حتّی إذا قوی الإسلام أمرهم بها. ومثله غیر عزیز. وقد سُئِل علیّ((علیه السلام)) فی الخضاب عن قول النبیّ ((غیّروا الشیب، ولا تشبّهوا بالیهود)) فقال: ((إنّما قال((صلی الله علیه وآله وسلم)) ذلک والدین قلّ، فأما الآن وقد اتّسع نطاقه، وضرب بجرانه، فامرؤ وما اختار)). وفی الإحیاء عن ابن أبی ملیکه قال: قال رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم)) ((زوروا موتاکم،

۱- سنن النسائی ۴/۹۰ و ۷/۲۳۵، وفی مسلم ۳/۶۵ وفیه: تذکّر الموت، وکذا ابن ماجه ۱/۵۰۱، ومستدرک الحاکم ۱/۳۷۵، والسنن الکبری للبیهقی ۴/۷۶، وعقد البیهقی باباً لخصوص زیاره القبور فی البقیع فلاحظ ۵/۲۴۹، ولاحظ مجمع الزوائد ۳/۵۸ و ۴/۲۶، وکنز العمال ۵/۱۰۸ و ۳۷۷ و ۸۵۹، وانظر ۱۵/۶۴۶ وما بعدها.

ص: ۴۴

وسلّموا علیهم، فإن لکم فیهم عبره)). وفیه عن نافع، عن ابن عمر: أنّه کان لا یمرّ بقبر أحد إلّا وقف علیه، وسلّم علیه. وکانت فاطمه بنت النبیّ تزور قبر عمّها حمزه فی الأیّام، فتصلّی وتبکی عنده. وفیه: قال قال النبیّ: ((من زار قبر أبویه أو أحدهما فی کلّ جمعه غُفر له وکُتب بَرّاً)). وقال: قال رسول الله: ((ما من رجل یزور قبر أخیه ویجلس عنده إلّا استأنس به وردّ علیه روحه حتی یقوم)). وقال: قال سلیمان بن سحیم: «رأیت رسول الله فی النوم قلنا: یا رسول الله هؤلاء الذین یأتونک یُسلّمون علیک أتفقه سلامهم؟ قال: نعم وأردّ علیهم». وقد تواترت الأحادیث الصحیحه الوارده عن آل محمد وحثّهم علی زیاره الحسین بن علیّ بن أبی طالب((علیهم السلام)).

ابن تیمیه یعترف بمشروعیه الزیاره

وقال أحمد بن تیمیّه فی رسالته التی عملها فی «مناسک الحج» (۱): «فالزیاره الشرعیه المقصود بها السلام علی المیّت والدعاء له، کما یقصد بالصلاه علی جنازته، فزیارته بعد موته من جنس الصلاه علیه، فالسنّه أن یسلّم علی المیّت، ویدعو له ; سواء کان نبیّاً أو غیر نبیّ، وکما کان النبیّ یأمر أصحابه إذا زار القبور أن یقول أحدهم: السلام علیکم أهل الدیار... إلی آخر الزیاره. قال: وهکذا یقول إذا زار أهل البقیع ومن به من الصحابه.

۱- صفحه ۳۹۲.

ص: ۴۵

وفی المنقول عن کتاب له فی فتاواه ((مسأله ۲۲)) (۱) قال: «لو سافر إلی المسجد النبوی، ثم ذهب معه إلی قبا، فهذا یستحبّ، کما یستحبّ زیاره أهل البقیع وشهداء أُحد» انتهی کلامه. وأما الدعاء عندها فلقو له تعالی: ((وَلاَ تَقُمْ عَلَی قَبْرِهِ)). حیث ذکر المفسّرون کأبی السعود والإمام الرازی وغیرهم من أعاظم المفسّرین : أنّ النبیّ کان من عادته إذا دُفن المیّت، وقف علی قبره ساعه، ودعا له. ففی الآیه دلاله علی أنّ القیام علی القبور للدعاء عباده مشروعه، ولولا ذلک لم یخصّ بالنهی عن الکافر.

اسلام السلفیه والوهابیه

وبها استدلّ أیضاً شیخ الوهّابیه ومؤسّس دیانتهم أحمد بن تیمیه فیما نقل عنه من کتاب له فی فتاواه ((فی جواب مسأله ۵۱۸)) (۲) قال: «فأمّا الزیاره الشرعیه فهی من جنس الصلاه علی المیّت ; یقصد بها الدعاء للمیّت، کما یقصد بالصلاه علیه، کما قال الله فی حقّ المنافقین ((وَلاَ تُصَلِّ عَلَی أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَی قَبْرِهِ)) فلمّا نهی عن الصلاه علی المنافقین والقیام علی قبورهم، دلّ ذلک بطریق مفهوم الخطاب وعلّه الحکم علی أنّ ذلک مشروع فی حقّ المؤمنین. والقیام علی قبره بعد الدفن هو من جنس الصلاه علیه قبل الدفن ; یُراد به الدعاء له.

۱- ص ۱۸۶.

۲- مجلد ۴ ص ۳۰۶.

ص: ۴۶

وهـذا هو الـذى نطقت به السُّنّه، واسـتحبّه السـلف عنـد زيـاره قبور الأنبياء والصالحين». إنتهى كلامه على غلوّهم فيه وغلوّه فى تحريم إتيان القبور والوقوف عليها والـدعاء لـديها وقراءه القرآن عنـدها. وقـد أورد الغزالى أيضا فى «الإحياء» عن محمد بن أحمد المروزى، قال: سـمعت أحمـد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحه الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحـد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقـابر، فإنه يصل إليهم... إلى غير ذلك. وبالجمله: فإذا كان الأمر كـذلك. فما معنى تخصـيص جواز زياره القبور بالنبىّ خاصّه دون غيره. ومـا خصوصـيه الحاضـر دون السـفر إليه وشـدّ الرحـل نحوه؟! أليس هـذا هو التقوّل بـالغيب والفتوى فى دين الله بالريب؟! هـذا، وأصاله الجواز فيما لم يرد فيه النهى كما تراها فى الكّل محكّمه، وليست بمخصّصه، وعلى مدّعيه الإثبات، ودونه خرط القتاد. أوليس قـد صـحّ ما ورد عن الغزالى عن النبى أنه قال: ((من وجـد سـعه ولم يغـدُ إلىّ فقـد جفانى)). فإنّ وجدان السـعه إنما هو يصح للمسافر الذى يشدّ الرحل إليه.

حديث لا تشد الرحال...

ومن العجب تمسّكهم فى ذلك بحـديث: ((لا تشـدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثه مساجـد)) المروى عن أبى هريره. مع أنّ ذكر المساجـد فى المستثنى بعد تسليم الحديث وصحّته، دليل على أنّ

ص: ۴۷

المستثنی منه هو خصوص المساجد، لا مطلق السفر ; أی لا تُشدّ الرحال إلی مسجد من المساجد، فیکون الحدیث ناظراً إلی الأمر بشدّ الرحال إلی المساجد المعظّمه لإدراک جمعتها وجماعتها، ولیس المراد النهی عن مطلق شدّ الرحل، وإلّا لزم تخصیص الأکثر إذ لو أُخذ بعمومه لانتقض بمطلق الأسفار المباحه والمندوبه والواجبه، مع وجوب شدّ الرحل إلیها، فلیکن منها شدّ الرحال إلی المشاهد المشرّفه والبیوت التی أذن الله أن ترفع، ویذکر فیها اسم الله، ولتعظیم شعائر الله. فإن قالوا هناک بالتخصیص قلنا فیها أیضاً، وإن قالوا بالتخصّص فکذلک قلنا فیها.

المؤلفات فی جواز الزیارات

هذا مع ما روی بعض أجلّه الأعلام بما شاهد ممّا أُلّف وصُنِّف فی هذا المقام. فمنها: کتاب «شفاء السقام فی زیاره خیر الأنام»، «شنّ الغاره علی من أنکر فضل الزیاره)) تألیف قاضی قضاه المسلمین فی القرن الثامن، الشیخ الحافظ تقی الدین أبی الحسن السبکی، المطبوع بمصر القاهره، المرتّب علی أبواب فی إثبات حیاه الأنبیاء والشفاعه وفضل الزیاره والسفر إلیها ومسنونیتها، وأنها من القربه، وأبواب فی الاستغاثات والتوسّلات. ومنها: «الجوهر المنظّم فی زیاره قبر النبی المکرّم» تألیف أحمد بن حجر الشافعی کذلک... إلی غیر ذلک من المؤلفات.

تناقض التصرفات

وأما قوله فیما اعترف به من حیاه النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)): «إنّه یسمع سلام من یسلّم

ص: ۴۸

عليه»، فهـذا كلاـم من ينقض فعلُهُ قولَهُ، ولاـ يعتقـد بشـىء مما يتفوّه به. وإلّا، فلِمَ لم يُراعوا بالأمس حرمته فى حرمه وضـريحه، وقاتلوا وقتلوا من المسـلمين حول حرمه وحماه ; ممّن يسـتغيث برسول الله ; وذلك بمرءىً منه ومسـمع فيسمعه إغاثته بقوله: وا محمداه! (۱). والناس إلى اليوم يُضربون على قول: «يا رسول الله»!؟

لا فرق بين حياه الرسول و موته فى تعظيمه

وأيضاً ما يرون هؤلاء فى قول الله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَـدِّمُوا بَيْنَ يَـدَىِ اللهِ وَرَسُولِهِ))، وكذا قوله تعالى: ((لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ)) الآـيه. هـل هى من الأحكـام البـاقيه إلى القيـامه أم لاـ؟ فـإن قالوا: لا، فقـد كـذبوا وخالفوا كتاب الله والسـيره المسـتمّره وإجمـاع الأُـمّه. وإلّا فليخبرونا ما الوجه فى ذلك؟ ولْيـذعنوا أنها ليس إلّا لحياته ولمعامله الأُمّه معه معامله الأحياء. والعجب ممّن يظهر التحاشـى، وينكر إنكـار السـلف على من قصـد دعاء الله عنـد القبر، وقـد شاع ما ورد فى الكتب المعتبره من فعل أعاظم الصـحابه، من الشـيخين وغيرهمـا إلى زمـان التـابعين والخلفـاء. ولم يزالوا خلفـاً عن سـلف يتشـرّفون بزيـاره قبر النبى((صـلى الله عليه وآله وسـلم))، ويتبرّكون بحرمه وتقبيل قبره ومنبره من خارج الحرم، بعدما كانوايدخلون عليه فى بُرهه من الزمان، وفى الحجره عائشه ليس بينها وبين القبر إلّا حائل من ستر أو بناء من جدار.

۱- لقد انتشر نبأ قتل الوهابيه للمسلمين اللاجئين بحرم رسول الله((صلى الله عليه وآله وسلم)) فى جميع كتب التاريخ، فراجع.

ص: ۴۹

ثمّ بنوا على القبر حيطاناً مرتفعه مستديره حول القبر، وبقى كذلك إلى أن بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليّين، وحرّفوهما حتّى التقيا ; لئلّا يتمكّن أحد من استقبال القبر. هذا ولم تزل الحجره مزاراً للمؤمنين معاذاً للّائذين. ومن أحاط خبراً بتاريخ السلف وترجمه أحوال مهاجرى الصحابه علم أنّهم كانوا كثيراً ما يقصدون المدينه لإدراك زياره الحجره المنوّره. ولولا خوف الإطاله لأتيتُ على ذكرهم ولملأتُ هذا الكرّاس من تراجمهم. هذا، ولم ينكر عليهم لا الشيخان ولا كبار الصحابه بشىء. وهذا أمير المؤمنين على((عليه السلام)) أتى بعد موت النبىّ((صلى الله عليه وآله وسلم)) ووقف على قبره الشريف، وخاطبه بقوله: ((طبت حيّاً، وطبت ميّتاً... إلى قوله: بأبى أنت وأُمّى أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك وهمّك...)) إلى آخر كلماته. ووقف أيضاً يوم دفنه فاطمهَ ((عليها السلام)) على قبره، وخاطبه بقوله: ((السلام عليك يا رسول الله عنّى وعن ابنتك النازله بفنائك، البائته فى الثرى ببقعتك. قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبرى، وعفا عن سيّده نساء العالمين تجلّدى...)) إلى آخر كلماته. وهذا حسين بن على((عليهما السلام)) سبطه وفرخه ; لما أراد المسير إلى العراق، أتى قبر جدّه وضريحه ثلاثه أيّام، زائراً مودّعاً داعياً مصلّياً، سائلا منه التكليف لأمره وحرمه وصحبه ; مخاطباً إيّآه بقوله: ((يا جدّاه أنا الحسين بن فاطمه، فرخك وابن فرختك، وسبطك الذى خلّفته فى أُمّتك)). هل ترون أنّه كان بذلك مخاطباً للأموات؟ أم كان يسأله من أمره وتكليفه؟ ولم يزل حتّى أجابه النبى((صلى الله عليه وآله وسلم)) بقوله: ((اُخرج إلى العراق، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلا...)) إلى آخر ما أجابه من أمر حرمه وعيالاته.

ص: ۵۰

وبالجمله: فإن كان المراد من النكير مجرّد الزياره للقبور والتبرّك بها والصلوات والدعاء عندها، فقد عرفت أنه أمر راجح مسنون، وستعرف الأمر بها فی العمومات من الآيات والقرآن العظيم، فانتظر المقام الثالث. وإن أراد من ذلك عبادتها واتّخاذها معاذ الله آلهه تُعبد من دون الله، فحاشا، ثمّ حاشا من ذلك. حيث لم نَرَ ولم نشهد ولم نسمع أنّ أحداً من المسلمين اعتقد بشیء من ذلك، أو خطر بباله، فكيف بالشيعه الإماميّه، وهم أوّل الموحّدين، وأحوطهم فی تقديس الله ربّ العالمين، وأدقّهم فی تقديسه ومعرفته((صلی الله عليه وآله وسلم))، إذ ورثوا وأخذوا علومهم ومعارفهم عن مهابط الوحی والتنزيل؟! فما معنی إنكار التبرّك بالقبور وزيارتها وتعاهدها، وبناء القِباب عليها والوقوف عندها؟! وأیّ وجه للرمی بأنّها وسيله للشرك؟! وقد علمت أنّه ليس ذلك إلّا للغايات الدينيه، حفظاً لآثارهم وقبورهم الكريمه، وصيانه عن الاندراس والانطماس وفوات انتفاع المؤمنين بزيارتهم، والإسراج بها لتلاوه القرآن وذكر الله عندها. أو ما تقدّم أنّ العباده ليست مطلق الخضوع، وإلّا لكان الوهّابيّون الخاضعون لشهواتهم العابدون لأهوائهم فی معاصيهم كفّاراً. وإنّما العباده هی الخضوع الخاصّ المقرون بالإخلاص عند أمر الله الواجب العظيم لذاته.

تعظيم ما أمر الله، هو من عباده الله و طاعته

علی أنّ تعظيم المأمور به لتعظيم أمر الله عزّ وجلّ إنّما هو فی الحقيقه

ص: ۵۱

عباده الله وتعظيمه تعالى ; من غير فرق بين أن يكون ذلك المأمور به إنساناً أو حجراً أو مدراً أو غيرها، كالأمر بالسجود لآدم فإنّه كان تعظيماً لأمر الله تعالى وعباده له، كما أنّه كان للملائكه امتحاناً، ولآدم تشريفاً، فإنّ الغايات تتعدّد بالاعتبارات. وكذلك أمر الشارع بفرض الطواف على أحجار البيت، وتقبيل الحجر الأسود واستلام الأركان والتزام المستجار. وإلّا لكان الأمر بجميع ذلك أمراً بالشرك. فمن تبرك بشيء لأمر الله، كان فى الحقيقه عباده الآمر به. وهذا عبدالله بن أحمد بن حنبل كما هو المروى عن كتاب «العلل والسؤالات» قال: سألتُ أبى عن الرجل يمسّ منبر رسول الله، ويتبرك بمسّه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله. فقال: لا بأس به. فالتواضع والتبرّك والإكرام والاحترام لما هو معظَّم عند الله، إنّما هو من تعظيم الله. كما أنّ تعظيم بيوته ومساجده وقرآنه، بل والجلد والغلاف منه، إنّما هو لانتسابها إلى الله. فمن قبّل الحجر الأسود أو عظّم البيت أو استلم الأركان أو وجد شيئاً من آيات القرآن وكلماته ملقىً مهاناً، فبادر إليها برفعها وتعظيمها وتقبيلها، فإنّما قبّل آيات الله وعظّم شعائر الله وتبرك بآثار ربّه أينما وجدها وحيثما رآها. فلها منزل على كلّ أرض ++ وعلى كلّ دِمْنهِ آثارُ ونعم ما قال العامرى:

ص: ۵۲

أمرّ علی الدیارِ دیارِ لیلی++ أُقَبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا وما حبُّ الدیارِ شَغفْنَ قلبی++ ولکنْ حبُّ مَنْ سَکَن الدیارا کلا، ولیس استلام الحجر إلاّ لاستحضار(معنی)المبایعه لله علی طاعته، والتصمیم من المکلف لعزیمته علی الوفاء ببیعته ((وَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّمَا یَنْکُثُ عَلَی نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَی بِمَا عَاهَدَ عَلَیْهُ اللهَ فَسَیُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً)). ولذلک قال رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((الحجر الأسود یمین الله فی الأرض ; یصافح بها خلقه، کما یصافح الرجل أخاه)). ولمّا قبّله عمر، قال: «لأعلم إنّک حجر ; لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّی رأیت رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم)) یقبّلک لما قبّلتک» (۱). فقال علیّ: ((یا عمرُ مَهْ بل یضرّ وینفع، فإنّ الله سبحانه أخذ المیثاق علی بنی آدم حیث یقول: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَی أَنْفُسِهِمْ)) الآیه، القمه هذا الحجر لیکون شاهداً علیهم بأداء أمانتهم، وذلک معنی قول الإنسان عند استلامه: ((أمانتی أدّیتها، ومیثاقی تعاهدته ; لتشهد لی عند ربّک بالموافاه)) (۲). وکذلک التعلّق بأستار الکعبه والالتصاق بالملتزم، إنّما هو لاستحضار طلب القرب من الله حبّاً لله، وشوقاً إلی لقائه، وتبرّکاً بالمماسّه، والإلحاح فی طلب الرحمه. وهکذا أسرار السعی والهروله بین الصفا والمروه والوقوفین

۱- الحدیث إلی هنا فی صحیح البخاری ۲/۱۶۰، ومسلم ۴/۶۶، سنن النسائی ۵/۲۲۷، ولاحظ التخریج التالی.

۲- أورد جواب علی((علیه السلام)) لعمر، الحاکم فی المستدرک علی الصحیحین ۱/۴۵۸ وفی آخره: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعیش فی قوم لستَ فیهم، یا أبا حسن.

ص: ۵۳

والرمی والهدی... إلی غیر ذلک من الأحکام الشرعیه، فإنّ لکلٍّ منها أسراراً إلهیّه وحکماً ومصالح روحیه، کما هی المرویه عن أهل بیت العصمه. والمسکین المحروم منها هو الجامد علی الظواهر، القاصر عن إدراکها.

زیاره القبور سنه نبویه و غایتها

وکما أن النبی((صلی الله علیه وآله وسلم)) المشرّع لزیاره قبور المؤمنین المُسِنّ لها ; بتعاهدها والوقوف لدیها والدعاء عندها، فقد أشار إلی بعض غایاتها ومصالحها فیما تقدّم من الصحیح بقوله: ((ألا فزوروها، فإنها تذکّرکم الآخره)). وفی حدیث آخر المروی عن الحاکم عن أبی ذر: ((زر القبور تذکر بها الآخره)). وما رواه الغزالی عن ابن أبی ملیکه قال: ((زوروا موتاکم وسلّموا علیهم، فإنّ لکم فیهم عبره)). إلی غیر ذلک من الغایات. وذلک لأن الحضور عند المزور إنّما یمثّل للزائر شخصیات المزور بجوامع مآثره ومجامع صفاته وآثاره، ولا سیّما إذا کان المزور من أکابر الأولیاء والشهداء ; ممّن له فی الإسلام لهمّته وسابقته وعلمه وزهده وفتاواه مقامات تاریخیه ومواقف کریمه ومزایا عظیمه. فتُلقی الزیاره علی الزائرین حینئذ أبحاثاً جلیّه، علمیّه مبدئیّه مَعادیّه أخلاقیّه اجتماعیّه، یعتبر بها حسبما یتجلّی له من الحکم والمصالح العائده إلی النفس التی لا ـ ینبغی تفویتها، ویجب علی الشارع الرؤوف الرحیم الحریص علی تربیه الأُمّه التنبیه علیها. فالظاهریّه بجمودهم غَلَوا وأفرطوا فقتلوا حقائق الدیانه، کغُلُوّ الباطنیه فی

ص: ۵۴

تفریطهم واعتبارهم القشریّه لظواهر الکتاب والسُّنّه. فکأنّ الفریقین تظاهرا علی قتل الشریعه ظهراً وبطناً. مع أنّ الأحری لهم التحرّی إلی التوسّط والاعتدال، وسلوکهم فی الدین مسلک النبیّ محمّد والآل.

بناء المشاهد والمزارات عمل شرعی

ثمّ بعدما عرفت الغایات الدینیه لبناء القباب وزیارتها وتعاهدها، فلا یخفی علیک أنه لیس فی بناء القباب وتعلیتها تجدیداً للقبر، وإنّما هو وضع علامه علیها بعیده عنها ; لتکون کما عرفت دلاله وعَلَماً علی المزور، وحفظاً لبقاء الآثار، وتوصّلا لزیاره الأطهار، وإرغاماً لغیر المسلمین من الکفّار، وتعظیماً لشعائر الله المندوب إلیها بالرفع والتشیید، ومعاونه علی البّر لزوّارهم، واستکثاراً لتلاوه القرآن وذکر الله لدیهم، وإهداء ثوابها لهم وإلیهم. کلّ هذا تقرّباً بالمسنونات، وأداء لحقّ سابقتهم فی الإسلام، ووقایه للزائرین من الحرّ والبرد. أو لیسوا من کبار الصحابه والتابعین ودعائم الدین وأئمّه المسلمین؟؟ ومن الواضح الغیر الخفیّ أنّ التعظیم لیس لقبورهم بما هی حفره وتراب، بل إنّما هو لذلک الشأن العظیم لهم فی الإسلام. أو لیس عمر أوّل من بنی قبر النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم))وسوّاه باللبن؟! واقتدی به بعده الخلفاء خلفاً عن سلف من تسقیفه وعماره ما حوله؟! کما بنی عثمان المسجد بعد ذلک بالحجاره المنقوشه إلی أن بنوه بأحسن بناء. أو ما کان قصد عمر والخلفاء من بعده هو التعظیم لشعائر الله. أو هل قصد عمر بفعله هذا عباده قبره((صلی الله علیه وآله وسلم)) وجعله وسیله للشرک

ص: ۵۵

بربّه، حاشاه؟! هذا، ولم يكن وضع القباب على القبور حادثاً فی هذه القرون، بل كان ثابتاً فی القرون السالفه من قبل الهجره إلی أعصار الصحابه والتابعين والخلفاء الراشدين. كما يظهر من تراجم الماضين وأحوالهم فی الكتب المعتبره، وأنّ للمعتبر بها وبالآثار الباقيه منها لعبره. فمنها قبر إبراهيم الخليل بفلسطين، وقبور سائر الأنبياء السالفين ببيت المقدس. وبمكّه فی الحجر قبر إسماعيل وأُمّه هاجر، وفی تستر قبر دانيال... إلی غيرها من القبور وقبابها فی أقطار العالم. وكذلك تعليه القبور فی الإسلام، فهذا «صحيح البخاری» فيما رواه عن خارجه بن زيد قال رأيتنی ونحن شبّان فی زمن عثمان، وإنّ أشدّنا وثبةً الذی يثب قبر عثمان بن مظعون حتی يجاوزه. وقال: قال عثمان بن حكيم: أخذ بيدی خارجه فأجلسنی علی قبر، وأخبرنی عن عمّه يزيد بن ثابت قال: إنّما كره ذلك لمن أحدث عليه. وقال نافع: كان ابن عمر يجلس علی القبر. وفيه أيضاً بإسناده إلی أبی بكر بن عباس عن سفيان التمار: أنه حدّثه: أنه رأی قبر النبیّ مسنَّماً. وهذا التاريخ يعلن بقبر العباس بن عبد المطلب عمّ النبیّ وبناء القبّه عليه، الباقيه إلی أواخر القرن الأول، كما عن ابن خلّكان. وقد كان ينبغی لهم الأُسوه بإمضاء الشيخين وبقيّه الخلفاء. أو ليس إبقاء هذه الآثار فی عصرهم مع قدرتهم وسلطنتهم علی تلك الأقطار والديار إمضاءً منهم وتقريراً لهم، وهی السُّنّه الباقيه منهم؟! أو ليس النكير عليهم ومخالفتهم وترك سنّتهم بدعه وضلاله؟!

ص: ۵۶

والحاصل: أنّ حرمه موتى المؤمنين وقبورهم مما ثبت شرعاً. وقد صحّ عن النبيّ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قوله: ((حرمه المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً)). وضروره المسلمين بل الملّيين، بل وجبلّه البشر على زياره قبور موتاهم وتعاهدها. فضلا عمّا ورد فى الشريعه من وجوب احترام موتى المسلمين، كالآمره بوجوب تغسيلهم وتكفينهم وتطييبهم، والرفق بهم، ودفنهم ومواراتهم. وحرمه إهانتهم بجساره أو بجنايه، أو بمثله بأجسادهم، وهتك لقبورهم. كما ورد فى مناهى النبيّ: من كراهه الجلوس على قبر المؤمن ووطئه بإهانه. وحرمه سبّ الموتى، كما فى البخارى فى باب «ما ينهى عنها سبّ الاموات». ففى المعتبره أيضاً قوله((صلى الله عليه وآله وسلم)) ((من وطىء قبراً فكأنما وطىء جمراً)). وفيما أخرجه النووى فى «الكنوز» (۱) عن الديلمى: ((إياكم والبول فى المقابر، فإنه يورث البرص)). وروى الرازى فى تفسيره الكبير عن «الكشّاف» فى حديث طويل، رواه عند قوله تعالى ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبَى)) إلى قوله: ((ألا ومن مات على حُبِّ آلِ مُحمّد فُتح فى قبره بابان إلى الجنّه، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزاراً لملائكه الرحمه)). هذا كلّه فى قبور سائر الموتى. فكيف إذا كان الميّت نبيّاً أو وصيّاً أو وليّاً أو أحداً من الصالحين؟؟

كرامات الأولياء من قبورهم

وحسبك ما يظهر منها من الكرامات وخوارق العادات، المشهوده المشهوره

۱- فى ۵۲.

ص: ۵۷

فی کلّ عصر، ما یفتح أبواب معرفه الله الواهب لآثار صنعه، وعجائب قدرته وبرکاته لأولیائه. وهذا هو الإمام الشافعی فی المرویّ عن الشیخ فی «اللمعات» حیث قال: «إنّ قبر الإمام موسی الکاظم((علیه السلام)) تِریاق مجرّب للإجابه» (۱). وبالجمله: فمن المغالطه الواضحه والافتراء العظیم نسبه هؤلاء الزائرین فی إقامه الصلوات والدعوات وقراءه القرآن والآیات فی المشاهد المشرّفه والمقامات المتبرّکه، إلی عبادتها!! وإنّما هو البهتان العظیم والإفک الکبیر. فلیت شعری متی خصّ الله هؤلاء المفترین بعلم الغیب؟! وکیف اطّلعوا علی سرائر العباد وضمائرهم؟! ومن أین وقفوا علی نیّاتهم؟! أو ما علموا ودَرَوا أنّ لمکان المصلّی دخلا فی الراجحیه والمرجوحیه من حیث الخِسّه والشرافه؟ أو مانهی النبیّ عن الصلاه فی المزابل والمذابح ومبارک الإبل ومرابط الخیل وقُری النمل والأراضی السبخه وبیت فیه المسکر والطرق والشوارع؟! أو لیس لله أن یفضّل الناس بعضهم علی بعض؟ کما فضّل الرسل، وقال: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلَی بَعض)). وَفضّل بعض الناس علی بعض، فقال: ((وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ هُمْ عَلَی بَعْض)). وفضّل الرجال علی النساء، فقال: ((أَلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَی النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ الله)). أوَ ما شرّف الله بقعه علی بقعه کما شرّف المساجد أیضاً علی البقاع، وکما شرّف

۱- لم أجده، ولکن روی الذهبی فی سیر أعلام النبلاء ۹/۳۴۳ عن إبراهیم الحربی، قوله فی قبر معروف الکرخی: إنه الترياق المجرّب.

ص: ۵۸

المساجد الأربع على سائر المساجد، وشرّف المسجدين على غيرهما؟! أوَ لم يرد فى الأحاديث: أنّ الأعمال يتضاعف أجرها لشرف المكان أو الزمان؟! أوَ لم يفضّل الله الأشهر الحُرُم على سائر الشهور، وفضّل شهر رمضان عليها؟! أوَما صحّ أنّ النبىّ((صلى الله عليه وآله وسلم)) خطب خطبته التى خطبها آخر جمعه من شعبان فى فضيله شهر رمضان، ومنها قوله((صلى الله عليه وآله وسلم))فيها: ((شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيّام، ولياليه أفضل الليالى، وساعاته أفضل الساعات...)) إلى قوله((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((من أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضه فيما سواه من الشهور، ومن قرأ فيه آيه من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن فى غيره من الشهور)) الخطبه. وبالجمله: فقد شرّف الله بعض الأحجار على بعض، والمقامات بعضها على بعض، كما شرّف أحجار البيت والحرم والحجر الأسود وزمزم وركن الحطيم ومقام إبراهيم، فقال: ((وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)) أو ليست هى إلّا صخره عليها أثر قدم إبراهيم الخليل، وفيه قبر إسماعيل؟! أوَ ما قرأت قوله تعالى: ((قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً))حيث أمضى الله سبحانه فعلهم، وهم المؤمنون، وعليه المفسّرون؟ وهذا وجه رغبه الشيخين فى دفنهما مع الرسول فى الروضه المنوّره وجواره الشريف ; تبرّكاً بحرمته وشرفه وبركته. وكذلك حكم العقل فى حرمه حرمه وقبره. فإنّ حرمه النبى((صلى الله عليه وآله وسلم)) لا تذهب بعد موته ضياعاً. أفهل كان رغبتهما فى الدفن عند رسول الله((صلى الله عليه وآله وسلم)) إلّا التبرّك بعظمته وتعظيماً لمضجعه بجميع مراتب التعظيم؟!

ص: ۵۹

ومن ذلک رغبه عائشه، وادّخارها مکان القبر لها لکنّها آثرت عمر لما استأذن منها. أوَ هل یستطیع المسلم أن یُنکر المقام العظیم فی الإسلام لمثل هؤلاء الذین هُتکت حرمتهم بهدم قبابهم؟!

یفترون علی المسلمین

ثم، وهذا الافتراء منهم وإفکهم، کقیاسهم الحلف والنذورات والهدایا وذبائح المسلمین الواقعه لله رب العالمین، بما کان یفعله المشرکون. سُبحانک اللهم ونعوذ بک من هذا البهتان العظیم، وتفریق الکلمه وشقّ عصا الاُمّه من غیر رویّه وبیّنه وحجّه. وما أجرأهم علی الله وعلی انتهاک حُرمات الله ورمی عباده الموحّدّین! وهل یخفی علی مثل هؤلاء الموحّدین من أعلام الدین: أنّ الحلف بغیر الله علی وجه إرادته تعالی منه مما یوجب الخروج من رِبْقه المسلمین؟

الحلف عند المسلمین

فالأیمان الواقعه بغیره تعالی ممّا لا یُراد منها حقیقه القسم. وحاشا أن یقع منهم ذلک علی وجه إرادته تعالی، وإنما هو مجرّد العباره وزیاده التأکید. فإنّ مثل هذا الصادر کثیراً فی کلمات أعاظم الصحابه غیر عزیز، کما لا یخفی علی المتتّبع فی کلماتهم. وهل الحلف ببیت الله وکلمات الله وآیات الله، أو بضریح النبیّ وشیبته ومنبره وتربته، إلّا لمجّرد التثبّت والتأکید؟!

ص: ۶۰

فإن لم يحضروا بلاد الشيعه الموحّدين، ولم يطّلعوا على سرائرهم، فهاهى بين أيديهم الكتب من فقه الإماميه وسائر المسلمين المطبوع منها وغير المطبوع التى ملأت أقطار العالم، فإنّ فيها ما يزجرهم عن هذا الافتراء العظيم. وهل جعل الله للمسلمين حرمه أعظم من حرمه بيته وكعبته؟! أوَ ما حرّم الله ظنّ السوء وسوء القول؟! وهل يخفى على فحول العلماء والفقهاء من أهل الجمعه والجماعه وإمعان النظر فى الأحكام أنّ الذبح لغير الله العظيم تعالى شأنه حرام؟ وهذه أبواب فقههم مصرّحه بأنّ النذر لا ينعقد إلّا لله سبحانه، ولا الذبائح والقرابين إلّا له جلّ شانه، ولا تحصل التذكيه إلّا باسمه تعالى اسمه . فلو لم يخصّ النذر بالله وبإنشائه له تعالى لم ينعقد، كما أنه إذا لم يُستقبل بالذبيحه ولم يسمّ الله عليها لا تحلّ ; وتقع ميته نجسه. وأمّا نسبتها بعد ذلك إلى النبىّ والوصىّ والولىّ، فإنّما هى لكى يصل الثواب إليهم، كما نقرأ القرآن ونهدى إليهم ثوابه، ونصلّى وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم، وفيه أجر عظيم. وكان النبىّ((صلى الله عليه وآله وسلم)) يذبح بيده، ويقول: ((أللّهمّ هذا عنّى وعمّن لم يضحِّ من أُمّتى)). وكان علىّ يضحّى عن النبىّ((صلى الله عليه وآله وسلم)) بكبش، وكان يقول: ((أوصانى أن أُضحّى عنه دائماً)). كذلك النذر، فانه لا يقع لغير الله بل على معنى أنها صدقه منذوره لله يهدى ثوابها إلى أولياآء الله، وهذا لا يزيد عمن نذر لأبيه وأمه أو حلف أو عاهد أن يتصدق عنهما. كما أن اختيارهم لها الأماكن المشرفه ليس إلا لشرف المكان وتضاعف الحسنات فيها.

ص: ۶۱

وبـالجمله فان النـذر عنهم، لا لهم. فاين تـذهبون وأنّى تؤفكون؟ وما هـذا الرمى بالباطل والإفك العظيم؟ سـبحانك اللهم ما أحلمك! وكيف كـان، فقـد انقـدح بمـا ذكرنـا فى المقـامين: أنّ اسـتدلال المموِّه المغالـط بالمتشابه من آيات الشـفاعه على دعواه، غلط باطل، وخلـط ظـاهر فسـاده. كفسـاد اسـتدلال المعـتزله والخـوارج على نفى الشـفاعه بهـا تـاره، وأُخرى بقـوله تعـالى: ((وَمَـا تَنْفَعُهُـمْ شَـفَاعَهُ الشَّافِعِينَ))، ومرّه بقوله: ((مَـآ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيم وَلاَـ شَـفِيع يُطَـاعُ)). فإنّ الآيات كما عرفت سوقها للكفّار، وأنّ الظالم على إطلاقه هو الكافر بقرينه العهد وخصوصـيه مورد النزول. فسـلب المقيّد لا يسـتلزم سـلب المطلق، ونفى المطاع لا يستلزم نفى المجاب ; بمعنى أنّ نفى الشـفيع الخـاصّ لاـ ينـافى إثبـات مطلق الشـفيع والشـفاعه. وبـداهه العلم بـأنه تعالى ليس فوقه أحـد، وكون الشـفيع لا محاله دون المشـفوع ممّا لا يوجب حملها على نفى المجاب، إذ غايتها أنّها سالبه كلّيه، ونقيضـها السـلب الجزئى الملازم للإيجاب الجزئى. فسوق الآيات لعموم السـلب لا لسـلب العموم. على أنّا لا نسـلّم عموم الأزمان والأحوال فيها ; لجواز اختصاصها بمواردها. كما أن قوله تعالى: ((مَا لِلظَّالِمِينَ من أنصار)) وقوله: ((وَلاَ هُمْ يُنْصَـرُونَ)) ممّا لا تـدلّان على دعواه، فإنّ نفى النصـره لاتسـتلزم نفى الشـفاعه ; لانها طلب على خضوع، وأما النصره فربما ينبىء عن مدافعه ومكافئه.

ص: ۶۲

صفحه فارغه

ص: ۶۳

فی ثبوت الأمر بالتوسلات والاستغاثات والاستشفاعات و فیه الأمر ببناء الضرائح والقباب المتعلقه بمشاهدهم

توسل آدم بالنبی

فقد صحّ حدیث توسّل آدم بالنبیّ من قبل أن یخلقه الله، ویبعثه إلی الدنیا، وکذا غیره من الأنبیاء. کما فی آیات المواثیق عن الأنبیاء بنبوّته((صلی الله علیه وآله وسلم)) قال الله تعالی: ((فَتَلَقَّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِمَات فَتَابَ عَلَیْهِ)). وقال تعالی: ((وَإِذِ ابْتَلَی إِبرَاهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِمَات فَأَتَمَّهُنَّ)) فیما ورد التفسیر به. فقد أجمع السنّه والجماعه علی حدیث التوسّل حتّی ابن تیمیّه وابن القیّم. وممّا ورد فی التوسّل ما أورده الحاکم وصحّحه، قال: ((إنّ آدم لما اقترف

ص: ۶۴

الخطیئه، قال: یا ربّ أسألک بحقّ محمّد لمّا غفرت لی. فقال: یا آدم کیف عرفته؟ قال: لأنک لما خلقتنی نظرت إلی العرش فوجدت مکتوباً فیه: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله»، فرأیت اسمه مقروناً مع اسمک، فعرفته أحبّ الخلق إلیک)) (۱). ویؤیّده: أنه لما سأل أبو جعفر المنصور الإمام مالکاً، فقال له: أأستقبل القبله وأدعو الله، أو أستقبل قبر النبیّ؟ فقال له: یا أبا عبدالله، ولِمَ تصرف وجهک عنه وهو وسیلتک ووسیله أبیک آدم!؟ (۲). والقاضی أبو عمرو عثمان ابن أحمد رواه مرفوعاً عن ابن عبّاس، عن النبی أنه قال: ((لما اشتملت آدم الخطیئه، نظر إلی أشباح تضیء حول العرش فقال: یا ربّ إنّی أری أشباحاً تشبه خلقی، فما هی؟ قال الله تعالی: هذه الأنوار أشباح اثنین من ولدک: أحدهما محمد، أبدأ النبوّه بک، وأختمها به. والآخر أخوه وابن أخی أبیه، اسمه علیّ، أُأیّد محمّداً به، وأنصره علی یده. والأنوار التی حولهما أنوار ذرّیّه هذا النبیّ من أخیه هذا ; یزوّجه ابنته تکون له زوجه، یتصل بها أول الخلق إیماناً وتصدیقاً له، أجعلها سیّده النسوان، وأفطمها وذرّیّتها من النیران، فتقطع الأسباب والأنساب یوم القیامه إلّا سببه ونسبه. فسجد آدم شکراً لله أن جعل ذلک فی ذرّیّته فعوّضه الله عن ذلک السجود أن أسجد له ملائکته...)) إلی آخره. وما رواه القاضی زکریا الحنفی قاضی قسطنطینه فی عصر السلطان محمد

۱- المستدرک علی الصحیحین للحاکم ۲/۶۱۵.

۲- ذکر ذلک القاضی عیاض فی الشفا بالتعریف بحقوق المصطفی وانظر شفاء السقام للسبکی، الباب الرابع، دفع الشبه للحصنی ص ۱۴۰.

ص: ۶۵

الفاتح ذكره فی حاشیه له علی «الكشاف» فی تفسیر قوله تعالی: ((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَی آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ))، رُوی: أنّه المیثاق فی المهدی من ولده، القائم فی آخر الزمان. وتبعه تلمیذه خرّم اُوغْلی فی تعلیقته علیه.

البیوت المرفوعه

ومنها: ما رواه الشیخ ابن بِطْریق فی «العمده» عن الشیخ الحافظ أبی إسحاق أحمد بن محمد بن نعیم الثعلبی فی كتاب «الكشف والبیان فی تفسیر القرآن»، روی بإسناده عن القابوسی، عن الحسین بن سعید، عن أبان بن تغلب، عن نفیع بن الحارث، عن أنس بن مالك، عن بریده. ورواه غیره من أعاظم أهل السُّنّه بطرقهم عن أنس وبریده وابن عباس أنه قال: قرأ رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم)) ((فی بُیُوت أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ وَیُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ)). فقام إلیه رجل، وقال: أیّ بیوت هذه یا رسول الله؟ قال: بیوت الأنبیاء. فقام إلیه أبو بكر، فقال: یا رسول الله هذا البیت منها؟ وأشار إلی بیت علیّ وفاطمه، فقال: نعم، من أفاضلها. ثم ذكر: وبیت تقاصر عنه البیوت++ وطال عُلوّاً علی الفَرْقَدِ تحوم الملائكُ من حولِهِ++ ویصلح للوحی دار الندی بیان: الآیه عقیب آیه النور (۱) أورده الحاكم فی المستدرك علی الصحیحین ۳/۱۲۷، وفی مجمع الزوائد ۹/۱۱۴، وكنز العمال ۱۳/۱۴۸ وتكلموا حول إسناده. وقد أشبع الإمام المجتهد الحافظ أحمد بن محمّد بن الصدیق الغماری الحسنی المغربی المتوفی ((۱۳۸۰ه)) البحث عنه، وأثبت صحّته فی كتاب ((فتح الملك العلیّ بصحه حدیث باب مدینه العلم علی)) المطبوع طبعه ثانیه بالقاهره عام ۱۳۸۹ه.

(۲). والتقدیر: أن المشكاه الثابته فی بیوت هذه صفتها.

۱- أی قوله تعالی ((الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاه)) الآیه (

۲-) سوره النور: ۲۴.

ص: ۶۶

والرازى: أنّ التقدير كمشكاه فيها مصباح فى بيوت أذن الله، وهو اختيار كثير من المحّققين انتهى. ولاـ شكّ أنّ البيوت أعمّ من المساجد، ومن بيت علم الله ووحيه وأنوار هدايته تعالى. كما أنها تعمّ الرجال ومساكنهم ومحلّ التعاهد إليهم. ويؤيّده: قرينه المشكاه، فإنّ مجرّد كون المشكاه فى المساجد ممّالا معنى محصّل لها، ولا فائده مهمّه لذكرها. فالآيه تمثيل لنور هدايته تعالى، وإعلانه عن شرافه أهل بيت نبيّه وأطائب عترته ; ممن خصّهم الله بعلمه ونور هدايته، ومن نصبهم لإرشاد عباده، ومثّل نور هدايتهم المقتبسه من نوره تعالى بالمشكاه، فالظرفيه متعلّقه بالنور المذكور فى صدر الآيه، لمظهريّته عن نور الله تعالى، ولم تكن قيداً للمشبَّه، ولا خبراً عن رجال. ويؤيّد هذا التفسير للبيت: قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)). وقد صحّ تفسيرها وتواتر من طرق السُّنّه والجماعه، نزولها فى خصوص الخمسه ممّن اجتمع تحت العباء الخيبريّه. كما ورد فى تفسير قوله تعالى: ((وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)): أنّها ليس المراد منها ظاهرها، بل هى من الكنايات، كما هو المتعارف فى المحاورات. ويؤيِّده أيضا قوله((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((إنّ الله اختار من البيوتات أربعه، ثمّ تلا قوله تعالى: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إِبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)). ويؤيّده قراءه أهل البيت «يُسبَّح» بالمبنى للمفعول، والوقف على «الآصال»، والابتداء ب «برجال».

ص: ۶۷

وفی المعتبره من طرق الخاصّه عن الإمام جعفر بن محمد((علیه السلام))أنه قال: ((إلتمسوا البیوت التی أذن الله أن تُرفع ویُذکر فیها اسمه، فإنّ الله أخبرکم أنهم رجال)). ولما حضر قتاده قاضی قضاه البصره عند الإمام أبی جعفر محمد ابن علی((علیه السلام))قال: «أصلحک الله یابن رسول الله، والله لقد جلستُ بین یدی الفقهاء وقُدّام ابن عبّاس، فما اضطرب قلبی قدّام واحد منهم ما اضطرب قُدّامک؟ فقال أبو جعفر: ((أما تدری أین أنت؟! أنت بین یدی ((بیوت أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَیُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَ تُلْهِیهِمْ تِجَارَهٌ وَلاَ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللهِ وَإِقَامَ الصَّلاَهِ وَإِیتَاءِ الزَّکَاهِ)) ونحن أُولئک)). فقال له قتاده: صدقت والله جعلنی الله فداک ما هی بیوت حجاره ولاطین». الخبر. فقد ظهر: أن البیوت أعمّ من ذلک.

معنی رفع البیوت

کما أنّ الرفع بإطلاقه یعمّ جمیع معانیه: فکما أنّ رفعها یکون بالسیر إلیها ; لأخذ علومهم ومعارفهم التی ورثوها عن لسان الوحی، وارتضعوها من ثدْی الرساله. کذلک یکون بالتعهّد لمشاهدهم وضرائحهم، والتبرک بها وتعظیمها، والدعاء عندها وبتعمیرها وبنائها وتشییدها ; لقوله تعالی: ((رَفَعَ سَمْکَهَا فَسَوَّاهَا))، وقوله تعالی: ((وَإِذْ یَرْفَعُ إِبْرَاهِیمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَیْتِ)). ویؤیّد هذا المعنی من الرفع حدیث أبی عامر البنانی واعظ أهل الحجاز قال: أتیت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق((علیهما السلام))، وقلت له: یابن رسول الله ما لمن زار قبره یعنی أمیر المؤمنین وعمّر تربته؟

ص: ۶۸

قال: يا أبا عامر، حدّثنى أبى، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علىّ، عن علىّ((عليهما السلام)): أنّ رسول الله قال: ((والله لَتُقتلَنّ بأرض العراق وتُدفن بها. قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وتعاهدها؟ فقال لى: يا أبا الحسن إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك، بِقاعاً من بقاع الجنّه، وعَرَصه من عَرَصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوه من عباده، تحنّ إليكم، وتحتمل المذلّه والأذى، فيعمرون قبوركم، ويُكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله ومودّه منهم لرسوله، أولئك يا على المخصوصون بشفاعتى، الواردون حوضى، وهم زُوّارى غداً فى الجنّه. يا على من عمّر قبوركم وتعاهدها، فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس. ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجّه بعد حجّه الإسلام، وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أُمّه. فأبشر وبشّر محبّيك من النعيم وقُرّه العين بما لاعين رأت، ولا أُذُن سمعت، ولاخطر على قلب بشر. ولكن حُثاله من الناس يعيِّرون زُوّار قبوركم كما تعيَّر الزانيه بزنائها، أُولئك شرار أُمّتى، لا أنا لهم الله شفاعتى، ولا يردون حوضى)). رواه السيّد الإمام المعظّم الزاهد العابد، أبو المظفّر غياث الدين بن طاوس الحسينى بسلسله إسناده، عن عماره بن يزيد، عن أبى عامر البنانى. ورواه غير واحد بإسناد آخر، كما رواه الشيخ العلاّمه عن محمد بن على بن الفضل. فالحديث يدلّ على تعمير القباب، وعليه استمرار طريقه الأصحاب.

الوسيله إلى الله

ومنها: قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَهَ)).

ص: ۶۹

ولاـ شكّ أنّ حسن التوسّـل إنّما يحكم به الأـدلّه الأـربعه ; من الكتاب والسُّنّه والإجماع والعقل، بل وعرف العادات فى الملوك والسلاطين. وهل العبادات والطاعات إلاّـ القُرُبات والوسائل لنيل المثوبات؟! أو لا ترى أنّ لرفع الحاجات إلى الله وسائل واقعيه، من الدعاء والإلحاح ونوافل الصلوات والصدقات وأنحاء القُرُبات ; من الذبائح والتوسّـلات. وذلك لأنّها جرت عاده الله فى الأُمور مجرى العرف والعاده بتوسّـط الأسباب والمسبّبات، فجعل للعقاقير دخلا فى الاستشفاء بها وأثراً فى عالم الطبيعه، وهو خالق الطبيعه وجاعل آثارها فيها. ولكلّ نفل من العباده خواصّ وآثار تزداد لفاعلها آثارها، وهو تعالى يقدر على إعطائها بدونها، مع علمه بحوائج عباده ولطفه الشامل لخلقه، وجواز قضائها وإنجاحها بعلمه من غير توسيط تلك الوسائل، ولولا ذلك لزم إلغاء كثير من العمومات الآمره بها، ولكان الأمر بها لغواً وعبثاً، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً. مع أنّ المشهود من الإجابه بتوسيطها ضرورىّ محسوس لا ينكره إلاّ مكابر. ولا يتخلّف المشروط بها إذا لم يكن محتوماً، وكان موافقاً لحكمته ومشيّته تعالى، كما أنّها ربّما تتخلّف إن بلغت المسمّى المحتوم، كما قال((عليه السلام)): ((يامن لا تبدِّل حكمته الوسائل)). ألم تَرَ أنّ الله قال لمريم++ وهزّى إليك الجذع تَسَّاقطُ الرُّطَبْ فلوشاء أن تجنيهِ من غير هزِّهِ++ جنْتُهُ ولكن كلّ شىء له سببْ فمن شدّه رأفته تعالى بعباده جعل لهم وسائل بينه وبينهم ; ليتشفّعوا للمرتضين منهم بإذنه، وللمتّخذين عهد التوحيد والإيمان به بكرمه ورحمته، كما قال: ((وَلاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى))، أو ((مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً)).

ص: ۷۰

فلا بأس بمن توسّل إلى الله بمعظَّم ; من قرآن أو نبيّ أو وصيّ أو وليّ ونحوها من آياته العظيمه، وسأل الله بحقّهم، فإنّ حقّ الشيء وحاقّه وسطه، وأوساطه، وهم الوسائط بين عباده. قال الجوهرى: سقط فلان على حاقّ رأسه ; أى وسط رأسه، وجئته فى حاقّ الشتاء، أى وسطه. والفيروزآبادى: حقّه وحاقّه وسطه. والمخلوقيه ممّا لا تمنع الوساطه، بل وإنّما تؤكّد العلاقه العابديّه والمعبوديّه، وتؤيد ربطها بها ربط المتضايفين، بل وهى الأنسب بمقام العبوديّه بما فيها من الإشاره إلى جلاله مولاه وعظمه معبوده. فتفسير بعضهم الوسيله بخصوص الفرائض مع ما عرفت أنّها تعمّ الوسائل إلى الله كلّها تفسير بالرأى. قال ابن الأثير فى «النهايه» فى حديث الأذان: أللّهمّ آتِ محمّداً الوسيله ; هى فى الأصل ما يتوصّل به إلى الشيء ويتقرّب به، وجمعها وسائل. يقال: وَسَلَ إليه وسيله وتوسّل، والمراد به فى الحديث القرب من الله، وقيل: هى الشفاعه. انتهى. وفى تفسير «الكشف والبيان» لأبى إسحاق الثعلبى عن الإمام جعفر بن محمّد((عليهما السلام))أنّه قال: ((ابتغوا إليه الوسيله: تقرّبوا إليه بالامام)). وهب أن المراد من الوسيله الفريضه، أوليست الموده لذوى القربى من الفرائض؟! بل وأهمّها المسؤول عنها فى قوله تعالى: ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبَى)). وإذ قد تبيّن من الآيات ثبوت الشفاعه للمرتضين وللمتّخذين عهد توحيدهم وإيمانهم بربّ العالمين. وظهر: أنّ اتّخاذ العهد والارتضاء بحسب الإيمان ممّا لا يُنافى عدمها باعتبار

ص: ۷۱

فسق المعصیه، کما تقدّم، فلا توجب المعصیه ارتداداً وکفراً، ولا تخرج العباد عن الارتضاء شیئاً، فقد ثبت أنّ المعاصی لیست علّه تامّه للتعذیب، وإنّما هی مقتضیات لولا المانع عن التأثیر. فکما أنّ الله جعل بفضله وکرمه الندم عن المعصیه توبهً وعفواً، فلا غرو أن جعل الله الأمر بابتغاء الوسیله بأولیائه، وإیجاب فرض المودّه لذوی قربی نبیّه وأطائب عترته ولحمته، مانعاً لهارافعاً لتأثیرها، ماحیاً لموضوعها، مقرّباً أولیاءهم إلی الله، موجباً لنیل حوائجهم وإن رغم الراغمون، وهنالک یخسر المبطلون. ثمّ لا یخفی أنّ تفسیرهم الوسیله هنا، لیس بأعجب من تفسیرهم ((الإمام)) فی الحدیث المتواتر عن النبی((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((من مات ولم یعرف إمام زمانه فقد مات میته الجاهلیه)) (۱). حیث قالوا: إنّ المراد من الإمام القرآن؟ مع وضوح فساده، الظاهر من إضافه الإمام إلی الزمان، المضاف إلی ما صدق علیه الموصول فی الحدیث. مع أنّ القرآن إنّما هو الإمام المستمرّ الباقی، الذی لا یختصّ بزمان دون زمان. فلم یکن لتفسیرهم فی المقامین وجه، فتدبّر.

۱- وفی مسند أحمد ۴/۹۶: من مات بغیر إمام...، وفی المستدرک علی الصحیحین للحاکم ۱/۷۷ و ۱۱۷: ومن مات ولیس علیه إمام...، ونقله فی مجمع الزوائد ۵/۲۲۴، ورواه بلفظ بغیر إمام فی مجمع الزوائد ۵/۲۱۸، وبلف۰: لیس لإمام... ۵/۲۱۹، ورواه فی کنز العمال ۱/۱۰۳ بلفظ ((بغیر إمام)) عن أحمد والطبرانی، وبلفظ ((لیس علیه إمام)) فی ۱/۲۰۷ وانظر ۲۰۸ و ۶/۶۵، ولکن أکثر مصادر الحدیث اثبتوها بألفاظ اُخری مثل ((بغیر سلطان، أو أمیر أو بغیر طاعه، أو من فارق الجماعه، أو لیس فی عنقه بیعه...، ولاحظ قوله((صلی الله علیه وآله)): یا علی، من مات وهو یبغضک مات میته جاهلیه. رواه الطبرانی فی الکبیر رواه فی مجمع الزوائد ۹/۱۱۱ و ۹/۱۲۱ و۱۲۲، وکنز العمال ۱۱/۶۱۱ و ۱۳/۱۵۹.

ص: ۷۲

التوسل بالنبی

هذا، وقد صحّ حدیث التوسّل بالنبیّ من أعیان الصحابه من قبل، بل والتوسّل بغیر النبیّ من الصحابه. ومن ذلک حدیث استسقاء عمر بن الخطاب بوجه عباس بن عبد المطلب عمّ النبی، وقوله: «أللّهمّ إنّا کنّا نتوسّل إلیک بنبیّک فتسقینا، وإنّا نتوسّل إلیک بعمّ نبیّک فاسقِنا». رواه البخاری فی الصحیح. مع أنّ صحّه التوسّل بغیر النبیّ ممّا یدلّ بالفحوی علی التوسّل بأطائب عترته وأهل بیته. ورواه ابن عبد البر فی «الاستیعاب»، وغیره فی غیره، وفیه: «فأرْختِ السماء عَزالِیَها (۱) ، فأخصبت الأرض. فقال عمر: «هذه والله الوسیله إلی الله والمکان منه».

تعظیم الشعائر

ومنها قوله تعالی فی سوره الحجّ: ((وَمَنْ یُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَی الْقُلُوبِ)). فسّر الشعائر بمعالم الدین وطرقه المنصوبه إلی الله تعالی وإلی معارفه، بل وإطلاقه شامل لکلّ ما یُشعر ویشیر إلیه تعالی ویعرّفه سبحانه. ففی «النهایه» لابن الأثیر عن الأزهری قال: الشعائر المعالم التی ندب الله إلیها وأمر بالقیام علیها. وقال السیوطی: الشعار العلامه، فالبدنه وهی النُّسُک للحاجّ القارن من

۱- العَزالی والعَزالَی: مصبّ الماء من القِرْبه ونحوها.

ص: ۷۳

إحدی مصادیق الشعار، کما هو الظاهر من قرینه «من» التبعیضیه، ودخولها علی منتهی الجموع. علی أن ذکر البعض ممّا لا ینافی ثبوت الآخرین، فتخصیص الشعائر بالهدْی والنُّسُک خاصّه دون غیره، تخصیص بلا دلیل. فإن قلت: إنّ الدلیل هو الجعل فیه دون غیره، فتکون النُّسُک مجعولا فی الشعاریه. قلت: لما کانت البدنه لذاتها مع قطع النظر من اعتبار النُّسکیّه للحجّ، غیر ظاهره فی الشِّعاریّه، کما أنّ النعل وتقلیدها أیضاً کذلک، فکانت لا جرم تحتاج إلی ما یصرفها إلیها، وهو قرینه الجعل. کما أنّ الصفا والمروه والهروله فیهما، ممّا هی بذاتها مفتقره إلیها، ولم تکن غنیّه عنها، فنصّ علیها بقوله تعالی: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَهَ مِنْ شَعَائِرِ الله)). بخلاف ما إذا کان الشیء ظاهراً فی الشعاریّه، فإنّه لا یحتاج إلیها، فالتمسّک بإطلاق الشعار کاف فی مصادیقه مالم یقم دلیل علی خلافه فی الشعاریّه. هذا، وأنت تری أنّ المشاهد والقِباب المشرّفه للأئمّه وأکابر الصحابه من عتره الرسول، بمظهریّتها عن أُولئک الأطائب، من آیات الله، وحمله علمه ووحیه وحماه دینه وشریعته والدعاه إلیه، من أظهر مصادیق الشعائر؟ کیف، وهی البیوت التی ((أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَیُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ)). کما أنّ الحلیّ والحُلَل والزینه اللائقه بها فیها، مما یقصد بها الأُبّهه الدینیّه، تجاه الأجانب من منکری دین النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم))، ربّما تُعدّ أیضاً من الشعائر. هذا کلّه لأنّ تعظیم ما هو شعائر الله مما یرجع إلی تعظیم الله سبحانه، بل هو تعظیمه فی الحقیقه، والإنفاق فی هذه السبیل إنّما هو من امتحان القلب للتقوی تقوی القلب.

ص: ۷۴

قال الرازی فی قوله تعالی: ((أُولَئِکَ الَّذِینَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَی)): أی امتحنها لیعلم منه التقوی، فإنّ من یعظّم واحداً من أبناء جنسه لکونه رسولا مُرسلا، یکون تعظیمه للمُرسِل أعظم، وخوفه منه أقوی. وهذا کما فی قوله تعالی: ((وَمَنْ یُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَی الْقُلُوبِ ;)) أی تعظیم أوامر الله تعالی من تقوی القلوب. انتهی.

تعظیم حرمات الله

ومنها: قوله تعالی فی سوره الحجّ: ((وَمَنْ یُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ)). والحرمه والحرمات والحرام ما لا یحلّ انتهاکه، وقیل: ما وجب القیام به، وحَرُم التفریط فیه. وتعظیمها ترک ملابستها تعظیماً لله سبحانه، وتکریماً وإجلالا لأمره ونهیه، ومنه المَشْعر الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والبیت الحرام والشهر الحرام، کلّ هذا باعتبار وجوب رعایه القیام بتعظیمها وحرمه انتهاکها، والتبرّک بها بإضافتها إلی معظمها. وعقد الإحرام هو الالتزام بترکه والإتیان بواجباته. والُمحرِم للحجّ هو الممنوع عمّا حرّمه الله علیه بدخوله فی حرمه. وتکبیره الإحرام ; لأنّ المصلّی یکون معها ممنوعاً من الکلام ومن سائر المنافیات. والمسلم محرم ; أی یحرم أذاه ; یعنی بتسلیمه إلی الله وخضوعه لوجه الله کأنه داخل فی حرم الله. فحرمه هذه العناوین کلّها بسبب إضافتها التشریفیه وانتسابها إلی مشرّفها ومظهریّتها عنه سبحانه.

ص: ۷۵

ومنه قوله((صلی الله علیه وآله وسلم)) فی «أُحُد» کما فی «صحیح البخاری» عن النبی لما طلع له «أُحد»، فقال: ((هذا جبل یُحبّنا ونحبّه. أللّهمّ إنّ إبراهیم حرّم مکّه وإنّی أُحرّم ما بین لابتیها، یعنی المدینه)) (۱). فتخصیصها بالمناسک دون غیرها تخصیص بغیر دلیل، والإطلاق کاف لشموله جمیع المصادیق، کما تقدّم فی الشعائر، وقرینه اتّصالها بآیه النُّسک لا تزید علی الإشاره إلی إحدی مصادیقها شیئاً، فکیف بتخصیصها بها؟! هذا وقد ورد فی تفسیر أهل البیت وباطن القرآن تفسیرها بهم((علیهم السلام))، کما عن الإمام أبی جعفر محمد بن علی الباقر((علیهما السلام)) فی المعتبر أنه قال: ((نحن حرمات الله الأکبر)). وفی المروی عن الإمام جعفر بن محمد الصادق((علیهما السلام)) أنه قال: ((إنّ لله حرمات ثلاثاً لیس مثلهن: کتابه هو حکمته ونوره، وبیته الذی جعله قبله للناس، وعتره نبیّکم)) (۲). وفی المرفوعه عن النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)) قال: ((ستّه لعنتُهم ولعنهم الله، وکلّ نبیّ مجاب: الزائد فی کتاب الله، والمکذّب بقدر الله، والمتسلّط بالجبروت، لیذلّ من أعزّه الله، ویعزّ من أذلّه الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ لعترتی ما حرّم الله، والتارک لسُنّتی)).

الاعتصام بحبل الله

ومنها: قوله تعالی فی سوره آل عمران: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِیعاً

۱- صحیح البخاری ۵/۱۳۶ باب نزول النبی((صلی الله علیه وآله)) الحجر.

۲- رواه الصدوق الإمامی فی کتابه ((معانی الأخبار ص۱۱۸ وانظر کتابه الخصال ص۱۴۶ باب: لله عزّوجلّ حرمات ثلاث)).

ص: ۷۶

وَلاَ تَفَرَّقُوا)). قال الرازی فی هذه الآیه: أمر الله بالتمسّک والاعتصام بما هو کالأصل لجمیع الخیرات والطاعات، وهو الاعتصام بحبل الله. واعلم أنّ کلّ من یمشی علی طریق دقیق یخاف أن تزلق رجله، فإذا تمسّک بحبل مشدود الطرفین بجانبی ذلک الطریق، أمن من الخوف. ولا شک أنّ طریق الحقّ طریق دقیق، وقد زلقت أرجل الکثیر من الخلق عنه، فمن اعتصم بدلائل الله وبیّناته، فإنّه یأمن من ذلک الخوف. فکأنّ المراد من الحبل ههنا کلّ شیء یمکن التوصّل به إلی الحقّ فی طریق الدین، وهو أنواع کثیره. ثمّ عُدّ منها العهد فی قوله تعالی: ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِی)). ومنها القرآن... إلی قوله: وروی عن أبی سعید الخدری، عن النبی((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((إنّی تارک فیکم الثقلین: کتاب الله حبلٌ ممدود من الأرض عترتی أهل بیتی)) والحدیث متواتر بین الفریقین (۱). وزاد فیما رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل، وأخرجه بإسناده عن ابن نمیر، عن عبدالملک بن سلیمان، عن عطیه العوفی، عن أبی سعید الخدری، عن

۱- حدیث الثقلین متواتر بحکم جمع من أعلام الحدیث وهو علی کل حال مجمع علی صحته، فأورده مسلم فی صحیحه ۷/۱۲۲ ۱۲۳، وبشرح النووی ۱۵/۱۷۹ ۱۸۱، وأحمد فی المسند ۳/۱۴ و ۱۷ و ۲۶ و ۵۹ و ۴/۳۷۱، والدارمی فی السنن ۲/۴۳۲، والحاکم فی المستدرک علی الصحیحین ۳/۱۰۹، وقال: صحیح علی شرط الشیخین و ۳/۱۴۸ وقال مثله، والبیهقی فی السنن الکبری ۷/۳۰ و ۱۰/۱۱۴، وانظر مجمع الزوائد للهیثمی ۹/۱۶۳، وکنز العمال ۱/۱۸۶ و ۵/۲۹۰ و ۱۳/۱۰۴ و ۳/۶۴۱ و ۱۴/۴۳۵، واقرأ بحثاً مفصّلا عن الحدیث ومصادره ودلالته فی مجله ((علوم الحدیث)) العدد الأول لسنه ۱۴۱۸ه.

ص: ۷۷

رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم)) أنه قال بعده: ((إنّهما لن یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض)). وقال: قال ابن نمیر: قال بعض أصحابنا عن الأعمش أنّه قال: ((أُنظروا کیف تخلّفونی فیهما)). وفی روایه: ((ألا- وإنّی مخلّف فیکم الثقلین: الثقل الأکبر القرآن، والثقل الأصغر عترتی أهل بیتی، وهما حبل الله ممدود بینکم وبین الله عزّوجلّ، ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا ; سبب أو طرف منه بید الله وسبب بأیدیکم ; إن اللطیف الخبیر قد نبّأنی أنّهما لن یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض کإصبعیَّ هاتین وجمع بین سبّابتیه)) الحدیث. وعن تفسیر «الکشف والبیان» لأبی إسحاق الثعلبی فی هذه الآیه، روی بإسناده، رفعه إلی الإمام جعفر بن محمد((علیهما السلام)) أنّه قال: ((نحن حبل الله الذی قال الله: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِیعاً وَلَا تَفَرَّقُوا))). وفی حدیث العنبری وقوله: ((یا رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم)) ما هذا الحبل الذی أمرنا الله بالاعتصام به وألّا نتفرّق عنه؟ فأطرق مَلیّاً، ثمّ رفع رأسه، وأشار بیده إلی علیّ بن أبی طالب، وقال: هذا حبل الله الذی من تمسّک به عُصم به فی دنیاه، ولم یضلّ به فی آخرته. فوثب الرجل إلی علیّ((علیه السلام))، فاحتضنه من وراء ظهره، وهو یقول: اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله)) الحدیث. وفی حدیث محمد بن عبدالله المعمّر الطبری الناصبی بطبریه سنه ۳۳۳ رواه فی وفد الیمانیّین علی رسول الله، والحدیث مشهور إلی قوله: ((فقالوا یا رسول الله بیّن لنا ما هذا الحبل؟ فقال((صلی الله علیه وآله وسلم)): هو قول الله: ((إلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ))فالحبل من الله کتابه، والحبل من الناس وصیّی، ولم یعلم تأویله إلّا الله)) الحدیث. فالآیه کنایه عن الالتزام بمودّه ذوی القربی من أهل البیت وأخذ العلم منهم

ص: ۷۸

والتعظيم لآثارهم. ومثله «العروه الوثقى» فيما أخرجه أبو المؤيّد موفّق ابن أحمد، عن عبدالرحمن ابن أبى ليلى، قال: قال رسول الله لعلىّ((عليه السلام)): ((أنت العروه الوُثقى)).

ابواب البيوت

ومنها: قوله تعالى: ((وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)). والتقريب: أنّ الهداه من عتره الرسول إنّما هم أبواب مدينه علمه وخزنه وحيه ورسالته، لقوله((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((أنا مدينه العلم وعلىٌّ بابها، ولا تُؤتى البيوتُ إلاّ من أبوابها)) (۱). والحديث متواتر اللفظ والمعنى فى طرق الفريقين. ورواه ابن بِطريق فى ((العمده)) بإسناده عن ابن المغازلى الواسطى الفقيه الشافعى فى «المناقب» بإسناده عن على بن عمر، عن حذيفه، عنه((صلى الله عليه وآله وسلم))، وفى غير: ((أنا مدينه الحكمه وعلى بابها))، ومن أراد الحكمه فَلْيأتِ الباب)). وفيما أخرجه المناوى عن الترمذى ((أنا دار الحكمه))، وفى بعضها ما رواه بإسناده عن ابن المغازلى، عن أحمد بن محمد بن عيسى سنه عشر وثلاث مائه معنعناً عن رسول الله((صلى الله عليه وآله وسلم)) أنه قال: ((يا علىّ أنا المدينه وأنت الباب، كذب من زعم أنه يصل المدينه إلاّ من الباب)).

۱- أورده الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ۳/۱۲۷، وفى مجمع الزوائد ۹/۱۱۴، وكنز العمال ۱۳/۱۴۸ وتكلموا حول إسناده. وقد أشبع الإمام المجتهد الحافظ أحمد بن محمّد بن الصديق الغمارى الحسنى المغربى المتوفى ((۱۳۸۰ه)) البحث عنه، وأثبت صحّته فى كتاب ((فتح الملك العلىّ بصحه حديث باب مدينه العلم على)) المطبوع طبعه ثانيه بالقاهره عام ۱۳۸۹ه.

ص: ۷۹

قال الرازی: فجعل الله إتیان البیوت من ظهورها کنایه عن العدول عن الطریق الصحیح، وإتیانها من أبوابها کنایه عن التمسّک بالطریق المستقیم، وهذا طریق مشهور فی الکنایه، فإن من أرشد غیره علی الوجه الصواب، یقول له: ینبغی أن تأتی الأمر من بابه، وفی ضدّه یقال: إنّه ذهب إلی الشیء من غیر بابه. قال الله: ((فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ))، وقال: ((وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَکُمْ ظِهْرِیًّا)). فلمّا کان هذا طریقاً مشهوراً معتاداً فی الکنایات ذکره الله ههنا. انتهی. فقد ظهر: أنّ الآیه کنایه عن التمسّک والتوسّل بأهل البیت.

اتخاذ المساجد

ومنها قوله تعالی فی سوره الکهف: ((وَقَالَ الَّذِینَ غَلَبُوا عَلَی أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَیْهِمْ مَسْجِداً)). دلّت الآیه بالتقریر والإمضاء علی جواز العباده عند قبور الأولیاء والصالحین، بل وعلی اتّخاذها للمسجدیّه تبریکاً للمکان. ففی «تفسیر الجلالین» و«الکشّاف» وأبی السعود: ((أَلَّذِینَ غَلَبُوا عَلَی أَمْرِهِمْ))وهم المؤمنون ((لَنَتَّخِذَنَّ عَلَیْهِمْ مَسْجِداً)) یصلّی فیه المسلمون، ویتبرّکون بمکانهم، وفعل ذلک علی باب الکهف. انتهی. وممّا أخرجه المناوی فی «الکنوز» (۱) عن الدیلمی عنه((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((إنّ بمسجد الخِیف قبرَ سبعین نبیّاً)) ورواه أیضاً فی ((صفحه ۱۰۵)) عن الطبرانی. وفی ((صفحه ۴۱)) فیما أخرجه عن الحکیم الترمذی فی «النوادر» قوله((علیه السلام)): أنّ قبر إسماعیل فی الحِجْر، ورواه أیضاً «صفحه ۱۰۶)) عن الدیلمی.

۱- صفحه ۵۷.

ص: ۸۰

الوهابيون والشعائر

هذا كلّه، مع ما كان الأحرى والأجدر بهؤلاء النجديّين فى صيانتهم لشعائر الدين، ووجوب التحفّظ والرعايه لحرمه رسول الله((صلى الله عليه وآله وسلم)) فى أطائب عترته ولحمته وأركان أصحابه وأعاظم العلماء والشهداء من حمله وحيه وعلمه. إبقاء مآثرهم وضرائحهم وبقاعهم التى كان قد بناها المسلمون، أداءً لفرض المودّه وأجر الرساله. كما كان الأوفق والأصلح لهم بجمع الكلمه واجتماع الأُمّه، التبيُّن والتثبُّت فيما بلغهم عن موحّدى المسلمين من الإفك العظيم، أو راموها بظنونهم فيهم، فرموهم بها. لا التهجّم عليهم بالهمجيه بهدم قباب هؤلاء الأئمه وأطائب العتره، ففعلوا ما فعلوا، والتاريخ يعلن عمّا فعلوا، وأغضبوا الله ورسوله. كما كان الأوفى والأقرب بالنَّصف أن يكون لهؤلاء غنىً فيما استدلّ به السمهودى والسبكى والمدنى والنووى والمناوى بالإجماع والكتاب والسُّنّه على الزيارات والتوسّلات. وفيما أرسل إليهم الشيخ الوحيد والمصلح الكبير بذلك الكتاب الناصح المشفق ; بما فيه من الدلائل الواضحه والبراهين القويّه، من الكتاب والسُّنّه وإجماع الأُمّه فى جوامع ما عليه الإماميّه من التوحيد وتنزيهم عن إفك الشرك لو أنصفوا ولم يعودوا.

اهداف الفرقه

وكان الباعث لهم فى الحقيقه إلى تعذيب المسلمين وإلقاء نار الشِّقاق فى الموحّدين، هو ما تمكّن فى نفوسهم من حبّ الاستئثار بالسطوه والسلطان،

ص: ۸۱

وجشع استعمار البلاد، واسترقاق العباد ; من غير رأفه ولا رقّه ولا شفقه بإخوانهم فی الدين، فضلا عن البشريه. فقاموا بمقتضاه وشمّروا علی هتک حرمات الله، ولقد جاؤوا بها شيئاً إدّاً ((تَكَادُ السَّمَواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً)). وأمّا بحسب الظاهر فبجهلهم وجمودهم:

شبهه تسنيم القبور

فتاره بشبهه التمسّک بحديث أبی الهياج المروی فی صحيح مسلم فی قوله: ((لا تدع تمثالا إلّا طمسته، ولا قبراً مُشرِفاً إلّا سوّيته)) (۱). مع وضوح فساد التمسّک به بما تقدّم من السيره النبويّه، وما ورد من أمره((صلی الله عليه وآله وسلم))بزياره القبور وحثّه(عليها)وتعاهدها والدعاء عندها. والنبیّ من لا ينطق عن الهوی ((إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ يُوحَی)). كيف يأمر بهدم القبور من هو يأمر بزياتها؟! أم كيف يأمر بهدمها وهو يزورها، ويقف عليها، ويدعو الله عندها؟! علی أنّ تسويه القبور وتسطيحها وتعديلها المقابل لتسنيمها، المشتقّ من سنام البعير شرفه وعُلُوّه، كما يدلّ عليه قوله: مُشرِفاً، وإلّا كان هذا القيد لغواً عبثاً. وعليه فالحديث يدلّ علی مرجوحيّه التسنيم للقبور الذی أخذته العامّه لها شعاراً، مع مخالفته فعل رسول الله بتسطيحه قبر ولده إبراهيم، وكما استشهد به لذلک شُرّاح الحديث كالقسطلانی وغيره. ويدلّ بمفهومه علی أفضليه ما ذهبت إليه الإماميّه، ووافقهم عليه الإمام

۱- صحيح مسلم ۳/۶۱.

ص: ۸۲

الشافعی من التسطیح. هذا، مع أنّ الحدیث بمعزل عن ذلک کلّه لوروده مورد قبور عظماء الکفّار وتماثیلهم وآلهتهم هناک. وفی ذمّ الیهود والنصاری من کفّار الحبشه، وما کانوا علیه من اتّخاذهم لقبور صلحاء موتاهم کهیئه تمثال صاحب القبر أصناماً یعبدونها من دون الله. فأمر النبیّ علیّاً((علیه السلام))بطمس تلک الهیاکل والتماثیل وهدمها وتخریبها ومحوها ومساواتها، ویدلّ علیه قوله((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((ولا تدع تمثالا)).

اتخاذ القبور مساجد

ومثلها ما ورد من(الأحادیث)الناهیه عن اتّخاذ القبور مساجد للصلاه. والمغالطه فیها، فإنّها کما تری مقیّده بما کان(علیه)الیهود وغیرهم من المشرکین، کانوا یمّثلون هناک الصور والتماثیل لصاحب القبر. أو ما کانوا یجعلون البارز من القبر قبله یستقبلونها بأیّ جهه کانت، ویصلّون تجاهها، فنهی النبیّ عن ذلک. حتّی أنّه روی البخاری عن أنس قال: ((کان قِرامٌ لعائشه أی ستر خفیف سترتْ به جانب بیتها، فقال النبیّ: أمیطی عنّا قِرامک، فإنّه لا یزال تصاویره تعرض فی صلاتی)) (۱). وکلّ هذا ممّا لا یُنکره أحد من المسلمین. ویدلّ علی الوجه الأوّل: ما رواه کلٌّ من البخاری ومسلم فی صحیحه عن النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)) أنّه قال: ((إنّ أُولَئِکَ إذا کان فیهم الرجل الصالح فمات فبنوا علی قبره

۱- صحیح البخاری ۱/۹۹.

ص: ۸۳

مسجداً وصوّروا فیه تلک الصوره)) (۱). وعلی الوجه الثانی: ما ورد أیضاً فی الصحیحین عن عائشه عن النبی قوله: ((لعن الله الیهود والنصاری أتّخذوا قبور أنبیائهم مساجد)) (۲). ولذلک قالت عائشه: «ولولا ذلک أبرزقبره غیر أنه خشی أن یُتّخذ مسجداً» (۳). فالظاهر من الروایه بمساعده ما فهمته عائشه منها، بحیث لم یُنکر علیها أحد ممّن روی الخبر عنها : أنّ المنهیّ عنه إنّما هو خصوص الصلاه إلی القبر باتّخاذ البارز من القبر قبله. لا مجرّد الصلاه عند القبر بالتوجّه إلی الکعبه. وقد عرفت صحّه الاتّخاذ بهذا المعنی فیما مضی وستأتی الحجّه علیه من القرآن والسُّنّه الصحیحه. وهذا معنی الحدیث. ولولا ذلک لما کان الإبراز سبباً لحصول الخشیه، فإنّ المخشیّ منه هو استقبال القبر بجعله واتّخاذه قبله، وأمّا الصلاه إلی الکعبه فممّا لا یتوقّف علی البارز. ویؤکّد هذا المعنی للحدیث صریح ما رواه المناوی (۴) ، وأخرجه عن ابن حِبّان فی صحیحه: ((أنّ النبیّ نهی عن الصلاه إلی القبور)).

الصلاه فی المقابر

ومثله فی الوهن ما أوردوه من الشبهه فی النهی عن الصلاه فی المقابر.

۱- صحیح البخاری ۱/۱۱۱ و ۱۱۲ و ۴/۲۴۵، وصحیح مسلم ۲/۶۶.

۲- صحیح البخاری ۱/۱۱۰ و۱۱۲ و۱۱۳، و۲/۹۱ و۱۰۶، و۴/۱۴۴، و۵/۱۳۹ و۱۴۰، و۷/۴۱، وصحیح مسلم ۲/۶۷.

۳- لاحظ صحیح البخاری ۲/۹۱، ولاحظ ص۱۰۶ و ۵/۱۳۹، وصحیح مسلم ۲/۶۷.

۴- فی ص۱۶۹ من الکنوز.

ص: ۸۴

وکذا کلّ ما یتشبّث به الوهّابیّون من المناهی حول عنوان القبر ; من التجصیص والتجدید والکتابه علیها، کما تراها بمعزل عمّا رموا به المسلمین. فإنّ المشاهد المشرّفه ممّا لیس هناک قبر بارز، وإنّما هو مجرّد الصندوق والشّباک الواقعین علی السرداب الأجنبی عن القبر ;لیکون حریماً وعلامه لا یوطأ ولا یُصلّی علیه، عملا بالنهی. هذا، مع أنّ النهی محمول علی الکراهه، بل ومخصوص بمافسّره شُرّاح الحدیث. وقد قال ابن الأثیر فی «النهایه»، وإنّما النهی عن الصلاه فی المقابر، لاختلاط ترابها بصدید الموتی، وإلّا فإن صلّی فی مکان طاهر منها صحّت صلاته. قال: ومنه الحدیث: ((لا تجعلوا بیوتکم مقابر)) أی لا تجعلوها کالقبور، فلا تصلّوا فیها، فإنّ العبد إذا مات، وصار فی قبره لم یصلّ، ویشهد له قوله((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((اجعلوا من صلاتکم فی بیوتکم، ولا تتّخذوها قبوراً)). انتهی کلامه. وهذا أحمد بن حنبل، فقد روی فی مسنده ما یفسّر الحدیثین المذکورین، کما روی عنه المناوی فی «الکنوز». أمّا بالنسبه إلی العنوان الأوّل ; أی اتّخاذ القبور مساجد: فقد روی عن مسنده (۱) عن النبی أنه قال: ((لا تجلسوا علی القبور ولا تصلّوا إلیها)). وما روی فیه أیضا عن الطبرانی فی الحدیث قوله((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((لا تصلّوا إلی قبر، ولا علی قبر)). وأمّا بالنسبه إلی العنوان الثانی: فقد روی عن مسند أحمد (۲) عن النبی قال: ((لاتتّخذوا بیوتکم قبوراً، صلّوا فیها)).

۱- کنوز المناوی ص۱۸۱، ومسند أحمد ۴/۱۳۵.

۲- کنوز المناوی ص۱۷۹، ومسند أحمد ۴/۱۱۴.

ص: ۸۵

ومثله ما تقـدّمه عن ابن الأثیر. فلا یغنی المتکلّف مطلق النهی، ولا النهی عن مطلق الاتّخاذ. نعم هکذا یُراد قتل الحقائق، ورمی عباد الله الموحّـدین بسـهم العصبیه، فـانظر وراجع وانتصف. فأین مناسـبه هـذه الروایات لما رامه الجاهل المعانـد؟! ویا لیتهم دروا من الروایات مواردها، أو من التسویه والمساواه اشتقاقها. ولیتهم إذا لم یدروا وقفوا، ولم یُفتوا.

البناء فی الأرض المسبله

کمـا أطـالوا الکلاـم تاره حول الأرض المُسْبله، وأفتوا بغیر ما أنزل الله ; لشـبهه أنّ البناء فی المُسْبله مانع عن الانتفاع بالمقـدار المبنی علیه، فهو غصب یجب رفعه، وبه أفتی قاضـی قضاتهم علی هتک حُرُمات الله. ومن الواضـح أنّ هـذه المختصّات من الأبنیه وغیرها فی نظر الشـارع الإسـلامی، کأملاـک لا یسوغ لغیر مالکها أو من یقوم مقامه فی التصـرف فیها. مع ما تقـدّم من وجوب حرمه المؤمن میّتاً کوجوبه حیّـاً، فیحرم هتک حرمته بهـدم حرمه وقبره. وکیف التجرّؤ علیه بمجرّد دعوی التسبیل من غیر حجّه ودلیل؟ علی أنّ مقتضـی القاعده فیها ونظائرها التمسّک فی الإباحه الأصلیّه مالم یثبت هناک عروض الملکیّه، ودونه خَرْط القتاد. وحیث لم یقرع سمع أحد من المسـلمین، ولم یوجـد حـدیث أو تاریـخ علی أنّ البقیع ممّا اسـتملکها أحـد، ثم وقفها أحـد وسبّلها لدفن الموتی، فهی باقیه بعدُ علی إباحتها، یحوزها من یشاء من المسلمین من غیر أن یتعرّضه أحد، ومع الشکّ فی

ص: ۸۶

العروض یبقی استصحاب الإباحه الأصلیّه سلیمه عن المزاحم. ثمّ لو فرض مع هذا ثبوت الوقف قبل الحیازه ومن المحال ثبوته فلا ینفع المتکلّف بشیء، ولم یسمع منه ذلک إلّا بعد إثباته وقوعه منه علی غیر مجری عرف أهل المعرفه من المسلمین وعاداتهم فی مجاری البرّ والخیر، من الرعایه لحقّ العظیم فی الإسلام والمحترمین من الصحابه والأولیاء ; ممّن یکثر زوّارهم من المسلمین التالین لکتاب الله لدیهم وإهداء ثوابها إلیهم ; عملا بالسُّنّه المأثوره وقیاماً لأداء حقّ عظیم شرفهم فی الإسلام. کلّا ولیس فی المسلمین أحد ممّن یوقف مقبره للمسلمین علی غیر الوجه الأمثل، لرعایه البرّ والطاعه، والأقرب بأداء الحقوق، والأوفی بتعظیم الشعائر. ولم تزل السیره القطعیه من أکابر الصحابه والتابعین وتابعی التابعین إلی زمان الأئمه الأربعه والخلفاء، من الاُمویین والعبّاسیین، وجهابذه العلماء وأساطین الدین باقتدارهم وسلطنتهم وکمال تضلّعهم فی إجراء السنّه ومحو البدعه طول هذه المدّه جاریه فی إبقاء ما ثبت من الأبنیه، من غیر نکیر منهم فی حین. وسیرتهم حجّه قاطعه لا یزاحمها شیء، ولم یحتمل أحد منهم اُحدوثه التسبیل أو توهّمه. سوی ماظهر فی یومنا هذا من العلم المخزون والدیانه المحتکره فی أعراب نجد! وهذا أحمد بن تیمیّه(شیخ إسلام)مؤسّس الوهّابیّه وإمام زعیمهم، ممّن صرّح بسیره هؤلاء. فحکم فی باب الوضوء بغسل الرجلین تمسّکاً بها، بأن رعایه الأقرب فی العطف فی قوله تعالی: ((فَامْسَحُوا بِرُؤُوسِکُمْ وَأَرْجُلَکُم)) ممّا کان یوجب مسح الرجلین، لولا السیره المستمرّه علی الغسل؟ وقد استدلّ قاضی قضاه الوهّابیّین بمکّه المکرمّه فی الحین بعمل المسلمین علی

ص: ۸۷

إمامه من قهر الناس، واستولی علیهم: بأنه علی ذلک جری المسلمون فی غالب الأعصار. کما فی ((صفحه ۵)) فی سؤال وجوابه فی مدّعی الخلافه المطبوع فی سنه ((۱۳۴۴)). وفی ((صفحه ۹)) منها حیث قال: کما جری علی ذلک عمل المسلمین من بعد الخلفاء الراشدین. انتهی کلامه.

قبور أئمه البقیع ملک لبنی هاشم

هذا، وقد تقدّم ما یشهد به التاریخ علی قُبّه العباس بن عبد المطلب، المحتوی علی قبور الأئمه الأربعه مع جدّتهم فاطمه بنت رسول الله علی قول، وفاطمه بنت أسد، فی القرن الأوّل. وما یظهر منها أنه أوّل مقبره فی البقیع لبنی هاشم بُنیت فی دار عقیل بن أبی طالب المختصّه بهم، کما ذکره السمهودی عن عبد العزیز وکما یظهر منه: أنها کانت تُدعی یومئذ مسجد فاطمه. وروی عن الطبری عن الشیخ أبی العبّاس المرسی: أنه کان إذا زار البقیع وقف أمام قبله قبّه العبّاس، وسلّم علی فاطمه. وفیما حکاه عن ابن جماعه: أنّ فی قبر فاطمه قولین: أحدهما: أنه الصّندوق الذی أمام المصلّی... إلی قوله: وثانیهما: أنه المسجد المنسوب إلیها بالبقیع ; أی البناء المربع فی جهه قبله قبّه العبّاس للمشرق، وهو المعنیّ بقول الغزالی: ویصلّی فی مسجد فاطمه. انتهی کلامه. وروی عن المسعودی والسبط ابن الجوزی فیما نقله عن الطبری

ص: ۸۸

المـدنی المولود بالمـدینه سـنه ثلاثین ومائه ما یؤیّد هذا المقام. وروی بإسـناده عن زید بن السائب، عن جدّه، أنّ عقیل بن أبی طالب بنی علی قبر أُمّ حبیبه أُمّ المؤمنین بیتاً. قال: قال ابن السائب: فدخلت ذلک البیت ورأیت فیه ذلک القبر انتهی. وبالجمله: وبعدما عرفت کما تقدّم من الحجج الواضحه فی الجواب عن الشبهات بالأحادیث المتشابهات. فبأیّ وجه تجرّؤوا علی هتک حرمات الله ورسوله فی حَرَمه، وسَـفْک دماء الصالحین من عترته، والموحّدین من أُمّته؟! فلا یسـتخفنّهم المَهَل والاستدراج، فإنّه عزّ وجلّ لا یخفره البدار، ولا یخاف علیه فوت الثار، وهو العالم بالعباد، وبالظالمین لبالمرصاد.

المقامات المهدومه

وهـذه مساجـد الله ومحـاریبه والمزارات والمقامـات والقِبـاب المهـدومه بأیـدی هؤلاء، أصـبحت تشـتکی إلی الله. وحرماته المهتوکه بظلمهم فی الحرمین الشریفین والطائف، أمست تصرخ وتستغیث بعدل الله ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ وَسَعَی فِی خَرَابِهَا)) الآیه. وإلیک أسـماء القباب الشریفه التی هدموها فی الثامن من شوال سنه ((۱۳۴۴)) فی البقیع خارجه وداخله: الأوّل: قبّه أهـل البیت((علیهم السـلام)) المحتویه علی ضـریح سـیده النسـاء فاطمه الزهراء علی قول ومراقـد الأئمه الأربعه: الحسن السـبط، وزین العابدین، ومحمد الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق علیهم الصلاه والسلام، وقبر العبّاس

ص: ۸۹

ابن عبد المطلب عمّ النبیّ، وبعد هدم هذه القِباب دَرَست الضرائح. الثانی: قُبّه سیّدنا إبراهیم ابن النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)). الثالث: قُبّه أزواج النبی((صلی الله علیه وآله وسلم)). الرابعه: قُبّه عمّات النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)). الخامسه: قُبّه حلیمه السعدیه مرضعه النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)). السادسه: قُبّه سیّدنا إسماعیل ابن الإمام جعفر بن محمد الصادق((علیه السلام)). السابعه: قُبّه أبی سعید الخدری. الثامنه: قُبّه فاطمه بنت أسد. التاسعه: قُبّه عبدالله والد النبیّ((صلی الله علیه وآله وسلم)). العاشره: قُبّه سیّدنا حمزه خارج المدینه. الحادیه عشره: قبّه علی العریضی ابن الإمام جعفر بن محمد خارج المدینه. الثانیه عشره: قُبّه زکی الدین خارج المدینه. الثالثه عشره: قُبّه مالک أبی سعد من شهداء أُحد داخل المدینه الرابعه عشره: موضع الثنایا خارج المدینه. الخامسه عشره: مصرع سیّدنا عقیل بن أبی طالب((علیه السلام)). السادسه عشره: سیّدنا عثمان بن عفان. السابعه عشره: بیت الأحزان لفاطمه الزهراء. ومن المساجد مسجد الکوثر، ومسجد الجنّ، ومسجد أبی القبیس، ومسجد جبل النور، ومسجد الکبش... إلی ما شاء الله. کهدمهم من المآثر والمقامات وسائرالدور والمزارات المحترمه، کما صرّح بها فی ((المفاوضات)).

ص: ۹۰

نهب الأملاک والأموال

هذا، بعدما نهبوا جميع ما فيها. كما قد نهبوا حرم النبيّ من قبل، ولم يراعوا حرمته، فأخذوا فى تلك السنه ما كان فى خزانه الرسول من الحُليّ والحُلَل، كما عن تاريخ عجائب الآثار للجبروتى. قال فى ضمن تاريخ سنه ۱۲۲۳ : ويقال: إنّه ملأ الوهّابى أربعه صناديق من الجواهر المُحلاّه بالألماس والياقوت العظيمه القدر. من ذلك أربع شمعدانات من الزُّمُرُّد وبدل الشمعه قطعه الماس تضىء فى الظلام. ونحو مائه سيف لا تُقوّم قِراباتها، ملبّسه بالذهب الخالص، ومنزّل عليها ألماس والياقوت، ونصابها من الزُّمُرُّد واليشم ونحو ذلك، ونصلها من الحديد الموصوف، وعليها أسماء الملوك والخلفاء، السالفين. وليت شعرى بأىّ حقّ لهم، وبأى وجه نهبوا وأخذوا؟! وبأىّ حكم حكموا فى أموال المسلمين، وخالفوا كتاب الله و(سُنّه)رسوله وسُنّه الشيخين؟! أو ماذُكر عند عمر بن الخطاب حُليّ الكعبه، فقال قوم: لو أخذته فجهّزتَ به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبه بالحُليّ؟! فَهمّ عمر بذلك، وسأل عنه أمير المؤمنين، فقال: ((إنّ القرآن أُنزل على النبى والأموال أربعه: أموال المسلمين، فقسّمها بين الورثه، والفرائض والفىء، فقسّمها على مستحقّيها، والخمس فوضعه حيث وضعه، والصدقات فجعلها حيث يجعلها. وكان حُليّ الكعبه فيها يومئذ فتركه الله على حاله، ولم يتركها نسياناً، ولم يخفَ عنه مكاناً فأقرّه حيث أقره الله ورسوله)). فقال عمر: «لولاك لافتضحنا»، وترك الحُلْىّ بحاله.

ص: ۹۱

سفک الدماء

ثمّ، وبعدما اجترؤوا على هتک حرمات الله ورسوله بهدم قبابها ونهب ما فيها، تجاسروا على سفک دماء المسلمين، وأشراف المؤمنين من الموحّدين، والساده المنتجبين من قاطنى حرم الله، ومجاورى الطائف من بيت الله. وما ذنبهم إلّا التوحيد وقراءه القرآن المجيد، فسفکوا دماءهم، وأباحوا أموالهم وأعراضهم وحرائرهم بمرْأىً من الله ورسوله ونصب عينه. وهم يصرخون ويضجّون ويعجّون وينادون: يا أللّه، يا محمّداه، يا رسول الله. وكان قد تألّف فى هذه السنه ((۱۳۴۵)) وفد من أشراف الهند ومؤمنيهم، قاصدين إلى الحجاز بعنوان «جمعيّه خدّام الحرمين ;» وذلک ليتحقّقوا عظمه سلطان نجد والوهّابيّين عن مهاجماتهم للطائف والحرمين الشريفين. فسألوهم حول هذه العناوين عن مسائل ((۸۹)) تسعه وثمانين. فكان نتيجه التحقيق من أمر الطائف ما ذكروه فى الصحيفه الخامسه، نمره ((ه)) من منشورها بعنوان «المفاوضات الخطّيّه» المتبادله المطبوعه فى محروسه الهند، غضون يناير فبراير سنه ((۱۹۲۶)) . قال: كلّ أحد حتّى السلطان ومستشاره اعترفوا بأنّ النجديين أعطوا أهل الطائف الأمان، ثمّ نهبوا تلک البلده، وقتلوا بالرصاص الرجال والنساء. وأخرجوا بعض النساء وحبسوهنّ فى بستان ثلاثه أيّام بلا طعام، وبعد ذلک أعطوا لكلّ مائه شخص منهم كيساً من دقيق. وجرّوا أجساد الموتى كما تُجرّ البهائم إلى الدفن بلا صلاه ولا تغسيل. وعذّبوا أناساً كثيرين لإخراج الكنوز. وأرسلوا الباقين حفاه عراه إلى مكّه. ونهبوا أموال المسلمين كغنيمه.

ص: ۹۲

وأُمراء الطائف اليوم فی مکّه فقراء، والمخدّرات اللواتی لم تکن غیر السماء تری وجوههن، یشتغلن الیوم بغسل الحوائج وطحن الحنطه بحاله تفتّت الأکباد. والسلطان یظهر البراءه من هذه الفضائع، ویتمثّل فی الجواب عنها بقصّه خالد ابن الولید. ولکنّه فی الوقت نفسه أخذ خمس الغنائم ومنهوبات المسلمین، ودخل جند ابن السعود مکّه سلماً لا حرباً. وهدموا المساجد والمزارات والقباب والمقامات، وصور أنقاضها لدینا، وسننشرها علی حِدَه مع إحصاء المساجد والمزارات والمقامات الجلیله المهدّمه.

هتک حرمه العقائد

قال: وأمّا حرمه المعتقدات فهی مفقوده فی الحجاز، ولیس للسلطان حرمه والناس یُضربون علی قول: «یا رسول الله»! والنجدیّون إذا طافوا یدفعون الناس ویحقّرون المذاهب «المدارس». ودور الکتب أقفلها النجدیّون أو بعضها. والسلطان أعطی قلیلا منها إعانات زهیده، بشرط تعلّم مبادیء الوهّابیّه. والتی لا تفعل، لا تفتح. التدخین: یعاقِبون علیه عقاباً شدیداً. ولکلّ نجدیّ الحقّ بإنزال العقاب حسب مشیّته. والسلطان یتقاضی رسوم الدخان! ویغری الناس علی جلبه! حتّی إذا شرِبوه عاقبهم. انتهی. فاعتبر أیّها المنصف. أو لم یکن لبلاد المسلمین ولا سیّما لمجاوری حرم الله ورسوله ومن بحماه

ص: ۹۳

حرمه وأمن؟! أو لم يجعل الله لهم بشرف جوارهم احتراماً؟! أو لم يلعن الله ورسوله من حقّر مسلماً، أو استحلّ حرمةً، كما لعن المستحلين لحرمه عترته فی الحديث المتقدّم؟! أو لم يلعن الله من أحدث فی المدينه أو آوی محدثاً؟!

حرمه المدينه

ففی «الكنوز» للمناوی باب الميم قال: ((من أخاف أهل المدينه فقد أخاف ما بين جنبیّ)) أخرجه من مسند أحمد (۱). وفيه عن صحيح ابن حِبّان: ((من أخاف أهل المدينه أخافه الله)) (۲). وفی «جامع البخاری» قال: ((لو رأيت الظِّباء بالمدينه ترتع لما ذعرتها))، قال رسول الله((صلی الله عليه وآله وسلم)): ((ما بين لا بَتَيْها حرام)) (۳). وفيه عن النبیّ: ((لا يكيد أهل المدينه أحد إلّا إنماع كما ينماع الملح فی الماء)) (۴). وعن «الجمع بين الصحيحين» للحميدی، من الثامن والأربعين من أفراد مسلم، فی الصحيح من مسند أبی هريره، عن الأعمش، عن أبی صالح، عن أبی هريره عن النبیّ قال: ((المدينه حرم فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوی مُحدِثاً، فعليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه عدلا ولا صرفاً)) (۵).

۱- مسند أحمد ۴/۵۵.

۲- لاحظ مجمع الزوائد ۳/۳۰۷.

۳- صحيح البخاری ۲/۲۲۱.

۴- صحيح البخاری ۲/۲۲۲.

۵- صحيح البخاری ۲/۲۲۱ و ۴/۶۷ و ۸/۱۰ و ۸/۱۴۸، وصحيح مسلم ۴/۱۱۵ و ۲۱۷.

ص: ۹۴

وزاد فی حدیث سفیان: ((وذمّه المسلمین واحده یسعی بها أدناهم، فمن أحقر مسلماً فعلیه لعنه الله والملائکه والناس أجمعین، ولا یقبل الله منه یوم القیامه عدلا ولا صرفاً)). أقول: وبعد ذلک فإن أردت الحقیقه فأنسب حدیث الانتحال إلی التوحید تاره، والتشبّث بحدیث أبی الهیاج أُخری. ثمّ اعتبرهما بما ورد من النبیّ فی الصحاح والقیاس إلی بعض الأقلّ من هذه الصادرات، من الدماء المسفوکات وهتک الحرمات، فتجد الحقیقه کالشمس الضاحیه.

منع الصلاه علی النبی

واعتبرها أیضاً بعد ذلک بحدیث المنع من الصلوات علی سیّد الکائنات. فإنّ شیخهم وزعیمهم ممّن کان یکره الصلوات علی رسول الله، ویتأذّی من استماعها، ویمنع منها وإلاعلان بها علی المنارات فی لیالی الجمعه. وکان بحیث لو سمعها ممّن جهر بها عاقبه بها، یزعم أنّها منافیه للتوحید. وقد سبقه إلی هذا عبد الله بن الزبیر، فقطعها من الجمعه والجماعه، ومنع عنها أتباعه وأشیاعه. قال ابن أبی الحدید فیما رواه عن المدائنی، قال:قطع عبدالله بن الزبیر فی الخطبه ذکر رسول الله جُمُعاً کثیره، فاستعظم الناس ذلک. فقال: إنّی لا أرغب عن ذکره، ولکن له أُهیل سوء! إذا ذکرته أتلعوا أعناقهم، فأنا أُحبّ أن أکبتهم (۱).

۱- لاحظ تاریخ الیعقوبی ۲/۲۶۱، ومروج الذهب ۳/۸۸.

ص: ۹۵

إلى قوله: ولم يذكر رسول الله فى خطبته ; لا يوم الجمعه ولا غيرها، عاتبه قوم من خاصّته وتشاءموا بذلك منه، وخافوا عاقبته. فقال: ما تركت ذلك علانيه إلّا وأنا أقوله سرّاً وأُكثر منه، لكن لما رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا واحمرّت ألوانهم، وطالت رقابهم. والله ما كنت لآتى سروراً وأنا أقدر عليه. والله لقد هممتُ أن اُحْظِرَ لهم حظيره، ثم أُضرمها ناراً. فإنّى لا أقتل منهم إلّا آثماً كفّاراً سحّاراً. لا أنماهم الله ولا باركَ عليهم. بيت سوء لا أوّل لهم ولا آخر... إلى آخر ما كفر به. ومن بعده زياد ابن أبيه حيث خطب الخطبه البتراء، لم يحمد الله فيها، ولم يصلّ على النبىّ وآله، كما فى تفسير «مجمع البيان» سوره الكوثر (۱). وأمّا محمّد بن عبد الوهّاب: فقد كان فى مسجد الدرعيه وعاصمه بلده ومركزه، وهو يقول فى خطبته: من توسّل بالنبىّ فقد كفر. واعلم أن أمر ابن الزبير وابن سميّه أهون من أمر الرجل وأشياعه. فإنّ اعتذارهما فيما أنكراه من الصلوات إن كان من أهل محمّد، فقد كان الرجل إنكاره من محمّد نفسه. والعياذ بالله ممّن طبع الله على قلبه وأعماه. مع ما عرفت من إجماع أهل القبله على وجوب التوسّل به، فكيف

۱- لاحظ الصحاح للجوهرى ((ماده: بتر)) ۲/۵۸۴، وكذلك لسان العرب.

ص: ۹۶

بالصلوات عليه؟ فلعن الله منكرى الضروره من الدين، وجاحدى آيات القرآن المبين.

الله: يصلى فى القرآن على نبيه

وهذا كتاب الله الحَكَم الفَصْل. وقد صلّى الله وملائكته على نبيّه، فقال تعالى: ((إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)).

ص: ۹۷

خاتمه: من دلائل النبوه: التحذير من الفتنه

اشاره

ومن معجزات نبيّنا الباقيه. ما أخبر به زُهاءَ ألف سنه قبل هذا بظهور هذه الفتنه ممّن يسعى ويجدّ فى هدم أعلام الدين وبقيّه النبيّين، وإطفاء مآثرهم وتخريب آثارهم ومشاهدهم وبقاعهم، وتعيير الصالحين من زوّارهم والمعاهدين لديهم، فلا يزداد بذلك أمر الله إلاّ عُلُواً ونوراً، كما أخبر الله تعالى به فى قوله: ((وَيَأْبَى اللهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)):

احاديث تنبىء بالمنع عن الزياره وبالعداء للمشاهد

(۱). منها: ما صحّ لى روايته ورواه الحفّاظ وأجلّه الأثبات والثقات، وهو الحديث المتقدّم بإسنادهم إلى عماره بن يزيد، عن أبى عامر البنانى واعظ أهل الحجاز، عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن على((عليه السلام))، عن أبيه علىّ، عن

۱- لاحظ كتاب ((شفاء السقام)) للامام السبكى فى الحث على زياره المشاهد وتعظيمها.

ص: ۹۸

رسول الله((صلی الله علیه وآله وسلم))إلی قوله((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((ولکن حثاله من الناس یُعیِّرون زوّار قبورکم، کما تعیر الزانیه بزنائها، أُولئک شرار أُمّتی لا أنا لهم الله شفاعتی، ولا یَردون حوضی)) (۱). ومنها: ما رواه رئیس المحدّثین فی المائه الثالثه مولانا الشیخ أبو جعفر محمّد بن قولویه (۲) ، وأخرجه بإسناده عن الإمام زین العابدین علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب((علیهما السلام))، عن عقیله أهل البیت عمّته زینب بنت علی بن أبی طالب، عن أبیها أمیر المؤمنین((علیه السلام)). وأُخری روته عن أُم أیمن، عن رسول الله، عن جبرئیل، عن الله عزّوجلّ فی حدیث طویل یذکر فیه ما سیکون من أُمته، وما یجری منهم من بعده علی أهل بیته، من عظیم شهاده ولده وعترته فی یوم الطفّ.... إلی قوله: ((ثمّ یبعث الله قوماً من أُمّتک لا یعرفه الکفّار، ولم یشرکوا فی تلک الدماء بقول ولا فعل ولا نیه، فیوارون أجسامهم، ویقیمون رسماً لقبر سیّد الشهداء بتلک البطحاء، ویکون علماً لأهل الحقّ، وسبباً للمؤمنین إلی الفوز، وتحفّه ملائکه من کلّ سماء مائه ألف مَلَک فی کلّ یوم ولیله یُصلّون علیه، ویسبِّحون الله عنده، ویستغفرون الله لزواره، ویکتبون أسماءَ من یأتیه زائراً من أُمّتک متقرّباً إلی الله وإلیک بذلک، وأسماءَ آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ویوسَمون بمیسم نور الله: «هذا زائر قبر خیر الشهداء وابن خیر الأنبیاء»، فإذا کان یوم القیامه

۱- رواه الطوسی الإمامی فی تهذیب الأحکام ۶/۲۲ و ۱۰۷، ورواه العلامه الحلی الإمامی فی کتاب منتهی المطلب ۲/۸۹۰، والشهید فی الذکری ص۶۹ و ۱۵۵، وانظر الحدائق الناضره ۱۷/۴۰۵، وجواهر الکلام ۴/۳۴۱ و ۲۰/۹۲، وانظر وسائل الشیعه ۱۰/۲۹۸، ومستدرک الوسائل ۱۰/۲۱۵.

۲- رواه فی کامل الزیارات ص۲۶۵، وعنه فی مستدرک الوسائل ۱۰/۲۲۹.

ص: ۹۹

يطلع فی وجوههم من أثر ذلک الميسم نور تغشی منه الأبصار تدلّ عليهم ويُعرفون به. وكأنی بک يا محمّد بينی وبين ميكائيل وعلی أمامنا، ومعنا من ملائكه الله ما لا تُحصی، ونحن نلتقط من ذلک الميسم فی وجهه من بين الخلائق، حتی ينجيهم الله من هول ذلک اليوم وشدائده. وذلک حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرک يا محمد أو قبر أخيک أو قبر سبطيک لا يريد به غير الله عزّوجلّ. ثم قال((صلی الله عليه وآله وسلم)): وسيجدّ أُناس ممّن حقّت عليهم من الله اللعنه والسخط أن يعفوا رسم ذلک القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تعالی لهم إلی ذلک سبيلا)). وممّا رواه الإمام علی بن الحسين((عليه السلام)) أنها قالت فی حديثها له يوم الطفّ وتسليتها إيّاه: ((يابن أخی لا يجزعنّک ما ترى، فوالله إنّ ذلک لعهد معهود من رسول الله جدّک وأبيک وعمّک، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمّه لا يعرفهم فراعنه أهل الأرض، وهم معروفون فی أهل السموات، وإنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقه، فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجه. وينصبون لهذا الطف عَلَماً لقبر أبيک سيّد الشهداء، لا يُدرس أثره ولا يعفو رسمه علی كرور الأيّام والليالی. وليجتهدنّ أئمّه الكفر وأشياع الضلاله فی محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً وأمره إلّا عُلُوّاً)) (۱). تنبيه: أُمّ أيمن فی الحديث تعدّ من الثقات جدّاً، وهی المنعوته فی لسان النبیّ

۱- لاحظ بحار الأنوار للمجلسی الإمامی ۲۸/۵۷.

ص: ۱۰۰

أنّها امرأه من أهل الجنّه، وفیما أخرجه المناوی عن ابن عساکر قوله((صلی الله علیه وآله وسلم)): ((أُم أیمن أُمّی بعد أُمّی)).

احادیث فی نجد و شروره

ومنها: ماروا‌ه حجّه الإسلام السیّد العلاّمه صدر الدین الحسینی العاملی الکاظمی، عن شیخ الإسلام أحمد بن زینی دحلان فی کتابه «خلاصه الکلام»، رواه عن النبیّ أنه قال: ((سیظهر من نجد شیطان تتزلزل جزیره العرب من فتنته)). ویؤیّد هذا الحدیث فی ذمّ نجد باعتبار أهله، أحادیث رواها أهل الحدیث، تکون جواباً عن اعتذار العالم النجدی للعالم العراقی عن الصحیحه التی رواها البخاری عن ابن عمران: ((هنالک الزلازل والفتن، وفیها یطلع قرن الشیطان)) (۱). ومثله ما رواه فی الصحیحین عن أبی هریره عنه أنّه قال: ((رأس الکفر نحو المشرق، والفتنه ههنا حیث یطلع قرن الشیطان)) (۲) وغیرها. فاعتذر عنهما: بأنّ ما ورد فی ذمّ نجد ممّا لا یوجب الرمی به أهله: فمنها: ما رواه فی «شرح السُّنّه» بإسناده عن عُقبه بن عامر، قال: ((أشار رسول الله بیده نحو الیمن، وقال: الإیمان یمانیّ ههنا، إلاّ أنّ القسوه وغلظ القلوب فی الفدّادین، عند أُصول أذناب الإبل، حیث یطلع قرن الشیطان فی ربیعه ومضر)) (۳).

۱- صحیح البخاری ۲/۲۳ و ۸/۹۵، مسند أحمد ۲/۱۱۸ و ۱۲۶، وسنن الترمذی ۵/۳۹۰.

۲- صحیح البخاری ۴/۴۶ و۹۳، و۵/۱۲۲، و۸/۹۵، وصحیح مسلم ۸/۱۸۰، ومسند أحمد ۲/۱۸ و ۷۲ و ۹۳ و ۱۱۱.

۳- صحیح البخاری ۴/۹۷، وانظر ۴/۱۵۴، و۵/۱۲۲، و۶/۱۷۸، وصحیح مسلم ۱/۵۱، ومسند أحمد ۲/۲۵۸، و۲/۲۷۰ و۲۷۲ و۴۰۸ و۴۱۸ و۴۲۶ و۴۵۷ و۴۸۴ و۵۰۶، و۳/۳۳۲، و ۴/۱۱۸، و ۵/۲۷۳.

ص: ۱۰۱

ویؤیّده: حدیث عُیَیْنه بن حصین یوم عرض الخیل، وذلک لما أغضب النبیّ بما مدح به النجدیّین، فغضب حتی ظهر الدم فی وجهه فردّ علیه بقوله: ((کذبت، بل الجفاء والقسوه فی الفدّادین أصحاب الوبر ربیعه ومضر، من حیث یطلع قرن الشمس...» إلی قوله: ((لعن الله الملوک الأربعه جمداً ومِخْوَساً ومشرحاً وأبضعه وأُختهم العمرّده)) (۱) الحدیث. وقد أخرج المناوی بعض هذا الحدیث فی «الکنوز» عن الدار قطنی (۲) عنه((علیه السلام))قوله: ((الجفاء والقسوه وغلظ القلوب فی الفدّادین)). ولیکن هنا آخر کلامنا من هذه الرساله. والحمد لله ربّ العالمین (۳).

۱- مسند أحمد ۴/۳۸۷، والمستدرک علی الصحیحین ۴/۸۱، ومجمع الزوائد ۱۰/۴۳، وکنز العمال ۱۲/۵۴.

۲- الکنوز للمناوی ۶۷ الکافی، لابی جعفر الرازی ۸/۷۰.

۳- الفدّ: صوت الحدی للإبل، کنّی به عن الجمالین من أصحاب الإبل. أصحاب الوبر: أهل البوادی، فإنّ بیوتهم یتّخذونها منه. قال الجوهری: قرن الشمس أعلاها، وأوّل مایبدو منه فی الطلوف والمراد منه شرقیّ المدینه. قال الفیروز آبادی: مِخْوَس کمِنْبر ومِشْرح، وجمد وأبضعه: بنو معدی کرب، الملوک الاربعه الذین لعنهم رسول الله ولعن أُختهم العمرّده وفدوا مع الأشعث، فأسلموا ثمّ ارتّدوا، فقُتلوا یوم النجیر فقال نائحتهم: یا عینُ إبکی للملوک الأربعه++ جمداً ومِخْوساً مِشَرْحاً أبضعه ونجد: یطلق علی نجد برق، ونجد خال، ونجد الثرا، ونجد عفر، ونجد العقاب، ونجد کب کب، ونجد الیمن. قال یاقوت الحموی: وبعض نجد الیمن فی شرقی تهامه، وهی قلیله الجبال مستویه البقاع، ونجد الیمن غیر نجد الحجاز، غیر أنّ جنوبی نجدالحجاز یتّصل بشمالی نجد الیمن، وبین النجدین برّیّه ممتنعه. «معجم البلدان».

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوزات العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بکلمة الشکر والتقدیر إلی مکاتب مراجع التقلید منظمات والمراکز، المنشورات، المؤسسات، الکتّیاب وکل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فى طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹